
روضة الحكماء

مكتبة الإمام الوادعي
للنشر والتوزيع
اليمن - صنعاء – شارع تعز – شميلة - جوار جامع الخير
ص ب: ١٧٣٦٤ فاكس: ٦٣٣٧٧١ – ١ – (٠٠٩٦٧)
جـــوال: ٧٣٤٧٥٥١٣٩ – ٧٧٧٧٦٣٧٤٣(٠٠٩٦٧)
E-MAIL: AL WADEY2006@MAKTOOB.COM
فرع عدن -المنصوره - جوار جامع الرضا من جهة القبلة
تلفون: ٧٧٣٣٠٨٨٢٥
فرع دار الحديث بالفيوش - جوارمسجد السنه
تلفون: ٧٧٣٣٠٨٨٦٥



تأليف

أبي العباس أحمد بن أحمد بن صالح شملان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إنّ الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.وبعد: فالحلم شجرة عظيمة مثمرة، مزرعتها القلوب، وطينتها الأفئدة، وفروعها الجوارح، وماؤها الذي تشربه العلم والعمل، فينبغي أن يزرع هذه الشجرة كل إنسان، فإنها مادة الحياة والبناء، وبها تدوم الألفة والمحبة بين الأقارب والأصحاب، بل تدوم بها العشرة بين الرجل وزوجته، والأب وأولاده، وتذهب بها الضغائن، وتزاح بسببها الأحقاد، ويتقارب الأباعد، ويتصادق الأعداء، وتحجز النفوس عن الشرور، وتفتح الأبواب أمام المجتمعات للتفاهم، والتراحم، والتآلف، ولقد أورثت لنا هذه الخلة، مجدا عريقا، وتاريخا حافلا بالمواقف العظيمة، التي تشحذ الهمم، وتعين الأحفاد على بلوغ المراد،

ونيل موروث الأجداد، فالطينة واحدة، والأصل واحد، والصفات تميز الطيب من الخبيث، والحلو من الحامض، وقد وضع لنا التاريخ في صفحاته المشرقة، جبالا عالية، ورواسي شامخة في الحلم والصفح، لم يزدها حلمها إلا رسوخا، وثباتا، بل ترك في صفحاته حقولا خضراء، وأزهارا جميلة في روضة معشبة، وبساتين مثمرة، بأجمل أنواع الثمار، وأسحر ألوان الأزهار؛ لتتربى الأجيال على قواعد ثابتة، وتجارب ناجحة، في فنون الأدب الجم، الذي كنزه لنا التاريخ، من أمثال وعبر، في التراجم والسير، التي تعطر بها الأفواه، وتحلى بها المجالس، وتتوج بها الشمَّخ العوالي، سير عطرة، ومواقف مثيرة، يحس القاطف من ثمار تلك البساتين، والمستند إلى تلك الجبال، براحة النفس، وطمأنينة القلب ما لا يشعر به أرباب الأموال، والوجاهات، وأصحاب الجنود والحصون الممتنعة، إننا ونحن نعيش في مجتمعات ضاع فيها الحلم بين الأحباب، ناهيك عن الأعداء، نتصور أنفسنا في غابة مليئة بالوحوش، والسباع والأفاعي والحيات بصور البشر، لا تجد الحلم إلا كهدهد الصيف، أو كالكبريت الأحمر، يتعامل به لمصلحة عاجلة، لو فاتت عقبها كل جهل وبلاء، ضاقت الأخلاق، واتسع الخلاف، وصغرت الأنفس واتسعت البطون والأعين، وقطعت الأرحام، وتنافر الخلان، وتشاجر الجيران، حتى صار الجار لا يعرف جاره، إلا وهو جنازة أو مشرف عليها، وربما صنعت الوحشة بين الإخوة والأصحاب، خنادق لا تسد، وأودية لا ترد، وأهوالاً لا تطاق، وصارت القلوب في نفور أشد من نفور الصيد من الوحش، وتشعبت الشقوق حتى صارت أخاديد في القلوب يصعب التحامها، فكانت كما قيل:

إن القلـــــوب إذا تنـــــافر ودهـــــا　　　مثـل الزجاجـة كســـرها لا يشــعب

وضعف الإيمان فضاع الأمن، بين أشد الناس قرابة من أب مع ولده، وولد مع أبيه، وزوجة مع زوجها، والعكس، وتحولت الحياة إلى تعايش شخصي، تقوده المصلحة، وتسوده الأطماع، وعلى قدر المصلحة تكون المنفعة، قال الشاعر:

وكـان بنـو عمـي يقولـون مرحبـا　　　فلـما رأوني معـدماً مـات مرحبـي

فهل نستطيع التعايش في بساط أوسع من هذا؛ فإن بساط المصلحة ضيق، ومجالها محدود، هل يا ترى يتحمل الرجل كلمة، أو نصفها، أو نقل حديث، ووشاية نمام؟!، وما أحسن ما جاء عن منير مولى الفضل بن أبي عياش قال: كنت جالسا مع وهب بن منبه، فأتاه رجل فقال له: إني مررت بفلان، وهو يشتمك، فغضب، وقال: ما وجد الشيطان رسولا غيرك؟ فما برحت من عنده، حتى جاءه ذلك الشاتم، فسلم على وهب، فرد عليه السلام، ومد يده إليه وصافحه، وأجلسه إلى جنبه.

ولذا فإن من الصعب بمكان أن يجد الإنسان لهذه المشاكل حلولاً، إذا لم نعالجها بدواء الشرع، وعافية العقل، وتدريب في رياض الحلم بإخلاص، وصدق، وبحث عن الثواب والأجر، ولو مع وجود المشاق؛ فلا بد دون الشهد من إبر النحل، ولن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا، وبعد ظلام الليل ضياء النهار، وعند الصباح يحمد القوم السُّرى، فالأسباب ميسرة، والطرق مسهلة، ولكن كما قيل:

إذا لم يكـن عـون مـن الله للفتـى　　　فـأول مـا يقضـي عليـه اجتهـاده

وإذا تآلفت القلوب اتسع الضيق، قال الشاعر:

رحـب الفـلاة مـع الأعـداء ضـيقة　　　سـمُّ الخيـاط مـع الأحبـاب ميـدان

وقال الآخر:

فـو الله مـا ضـاقت بـلاد بأهلهـا　　　ولكـن أخـلاق الرجـال تضـيق

فنسأل الله أن يشرح صدورنا للعلم والحلم، وأن يصلح جوارحنا بذلك، وأن يعيذنا من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء، والأدواء، وأن يؤلف بين القلوب، ويدفع الشرور بحوله وقوته.



الحلم صفة الله تعالى

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء:١٢].

والحليم: حليم عمن عصاه لأنه لو أراد أخذه في وقته أخذه، فهو يحلم عنه، ويؤخره إلى أجله، وهذا الاسم، وإن كان مشتركاً يوصف به المخلوق، فحلم المخلوقين حلم لم يكن في الصغر، ثم كان في الكبر، وقد يتغير بالمرض والغضب والأسباب الحادثة، ويفنى حلمه بفنائه، وحلم الله عَزَّوَجَلَّ، لم يزل ولا يزول، والمخلوق يحلم عن شيء، ولا يحلم عن غيره، ويحلم عمن لا يقدر عليه، والله تعالى حليم مع القدرة[1].

قال أبو العباس غفر الله له، وبدل سيئاته حسنات: حلم الله تعالى لا يدركه وصف، ولا يحيط به استقراء، فهو الحليم بكل ما تعنيه هذه الكلمة من كمال وحسن، فقد تجلى حلمه في أسمائه وصفاته، وشرعه وقدره، وآلائه ونعمه، وفي توبته على عباده، وقبوله لهم، وتبديل سيئاتهم إلى حسنات، وترقيتهم إلى أعلى الدرجات، فبعد ابتلائهم اجتباهم، وأكرمهم برضوانه وجنانه، وبعد إساءتهم أحسن، وبعد ذنوبهم محا وغفر، حلم عنهم فرزقهم وعافاهم، وهم يدعون له الصاحبة والولد، ويدعون غيره، ويعبدون سواه، بل سلبوا ما له من العبودية والملك والخلق والتدبير، وجعلوه لأعدائه، وهو يغفر ويعفو ويصفح، آذوا عباده فقتلوا أنبياءه، ورسله، وكذبوا كتبه، وارتكبوا كل مخالفة، ووقعوا في كل جريمة، وأهانوا الشعائر، وارتكبوا الكبائر،

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١ / ١٥٦).

وتعاونوا مع عدوه وعدوهم، فأطاعوا الشيطان، وعصوا الرحمن، وهو مع هذا كله رحيم بهم لطيف خبير، يقبل التوبة ويغسل الحوبة، ويمحو الذنب، ويرفع العبد درجات، فالله الله أيها المؤمنون فالبدار البدار إلى رب كريم، وعفو عظيم؛ فإن رحمة الله قريب من المحسنين، والحمد لله رب العالمين.

عن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «**ما أحد أصبر على أذًى سَمِعَهُ من الله يدَّعُونَ له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم**»[(١)].

بل أعجب من ذلك وأعظم أنه يبدل سيئات التائبين المخلصين حسنات قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾**﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليتمنين أقوام لو أكثروا من السيئات، الذين بدل الله ﷻ سيئاتهم حسنات**»[(٢)].

وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي[(٣)]:

وأخرج عَبد بن حُمَيد، وَابن أبي حاتم عن الحسن ﴿**فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ**﴾ [الفرقان:٧٠] قال: التبديل في الدنيا: يبدل الله بالعمل السيء العمل الصالح، وبالشرك إخلاصاً، وبالفجور عفافا ونحو ذلك.

وأخرج الفريابي، وعَبد بن حُمَيد عن مجاهد قال: الإيمان بعد الشرك.

---

(١) رواه البخاري برقم(٧٣٧٨) ومسلم برقم(٢٨٠٤).
(٢) رواه الحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٥٣٥٩).
(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (١١ / ٢٢١).

وأخرج عَبد بن حُمَيد عن مكحول قال: إذا تابوا جعل الله ما عملوا من سيئاتهم حسنات.

وأخرج عَبد بن حُمَيد عن علي بن الحسين قال: في الآخرة، وقال الحسن: في الدنيا.

قال أبو العباس غفر الله له، وبدل سيئاته حسنات: الحديث يفسر ظاهر الآية، وهو الأليق بظاهرها، وكل ما ذكر يحتمل وعفو الله فيه جلي، وما ذكر في الحديث أبلغ وأعظم؛ للدلالة على عفوه وكرمه وجوده وإحسانه، وحلمه وامتنانه.

حلم الله عن من قتل تسعة وتسعين نفساً

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن نبي الله ﷺ قال: « **كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نَصَفَ الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط. فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أَيَّتِهِما كان أدنى فهو له. فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة**». قال قتادة: فقال الحسن: ذكر لنا أنه لما أتاه الموت نَأَى بصدره[١].

[قلتُ]:فانظر أخي الكريم إلى عفو الله وحلمه، وكرمه وجوده، فمن يغفر الذنوب

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٧٠) ومسلم برقم(٧١٨٤) واللفظ له.

إلا الله، ومن يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات إلا رب الأرض والسماوات، فبعد قتل مائة نفس من عباد الله يأذن الله له بالتوبة، ويوفقه لها، ويسهل له طريقها، بل ويبعث الحكم إلى الملائكة ؛ لتأخذه ملائكة الرحمة ويأمر الأرض الطيبة أن تتقارب إليه، وما أحسن ما قيل رجاءاً في عفوه لا أمنا من مكره:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة	فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا مؤمن	فبمن يلوذ ويستغيث المجرم

حلم اللّه عن رجل جاهل بقدرة اللّه

عن رِبْعِيِّ بن حِرَاش قال: قال عقبة لحذيفة ﷺ ألا تحدثنا ما سمعت من النبي ﷺ قال: سمعته يقول: «**إن رجلا حضره الموت، لما أَيِسَ من الحياة أوصى أهله: إذا مت فاجمعوا لي حطبا كثيرا ثم أَوْرُوا نارا حتى إذا أكلَتْ لَحمِي وخَلَصَت إلى عظمي فخذوها فاطحنوها فذروني في اليَمِّ في يوم حار، أو رَاحٍ، فجمعه الله فقال: لم فعلت قال خشيتك فغفر لهُ**»[١].

ولمسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين، فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم. فغفر الله له** ».

قال العلماء: عذره الله بجهله، عند أن شك في قدرته، ووسعه بحلمه ورحمته، وأمَّنه في شدة خوفه. فهل رأيت مثل هذا الحلم حلما، فسبحان من قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١].

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٧٩) ومسلم (٧١٦١).

من سعة حلم الله تكرار عفوه

عن أبى هريرة ﵁ عن النبي ﷺ فيما يحكى عن ربه ﷿ قال: « **أذنب عبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، واعمل ما شئت فقد غفرت لك** »(١).

فائدة: قال المبارك فوري ﵀(٢):

قوله: «**فليفعل ما شاء**» أي: من الذنب المعقَّب بالتوبة الصحيحة، ففيه أن التوبة الصحيحة لا يضر فيها نقص بالذنب ثانيًا، بل مضت على صحتها، ويتوب من المعصية الثانية.

وهكذا قال المنذري: معناه إذا كان هذا دأبه يذنب الذنب فيتوب منه، ويستغفر فليفعل ما شاء؛ لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره. لا أنه يذنب الذنب، فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعاوده، فإن هذه توبة الكذابين ويدل له قوله: ثم أصاب ذنبًا آخر.. انتهى.

وفي رواية حماد: «**اعمل ما شئت فقد غفرت لك**» قال النووي: معناه ما دمت تذنب، ثم تتوب غفرت لك. وقال الطيبي: أي اعمل ما شئت ما دمت تذنب ثم تتوب فإني أغفر لك.

---

(١) رواه مسلم برقم (٧١٦٢).
(٢) في شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٦٧).

[قلت]: علم أن ربه يحب العفو، ويفرح بالتوبة، فكلما أذنب رجع، وآب ولم يفتح له الشيطان إلى اليأس باباً، ولم يداخله في سعة رحمة الله شك ولا ارتياب، فهو عند الذنب رجّاع وأوّاب، لعلمه أن ربه غافر الذنب وقابل التوب وإليه المآب، ولا يحملنا ذلك على الأمن من مكره؛ فإنه سريع الحساب، شديد العقاب.

من سعة حلمه عظيم فرحه بتوبة عبده حين يتوب إليه

عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: « **لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح**»[1] .

[قلت]: لو تأمل العصاة والمجرمون هذا الحديث وأمثاله لما تأخروا عن التوبة طرفة عين، كيف لا وهم يعرفون عظيم فرحته بتوبتهم وإنابتهم، إي والله إن أحدنا إذا أساء إليه أخوه تمنى زواله، بل لا يريد أن يرى صورته، ولا يفرح باعتذاره وندمه، فسبحان ربي ما أحلمه وأكرمه وأعظمه، وله المثل الأعلى، وإثبات فرحه كما يليق بجلاله، قال جلَّ وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

لن نعدم من رب يضحك خيرا

عن أبي رزين ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه**»، قال: قلت: يا رسول الله أو يضحك الرب؟! قال: «**نعم**»، قلت: لن نعدم من

(١) رواه مسلم برقم(٧١٣٦).

رب يضحك خيرا[١].

الحلم عبادة عظيمة يحبها الله

عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال للأشَجِّ أَشَج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة**»[٢].

وفي صحيح الأدب المفرد[٣]:عن أشج عبد القيس قال: قال النبي ﷺ: «**إن فيك لخلقين يحبهما الله**» قلت: وما هما يا رسول الله؟ قال: «**الحلم، والحياء**»، قلت: قديماً أو حديثاً؟ قال: «**قديماً**». قلتُ: الحمد لله الذي جبلني على خلقين أحبهما الله.

فإذا كان الحلم يحبه الله تعالى أفلا نحب ونعمل بما يحبه الله؛ فإن الله لا يحب إلا الطيبات، بل ينبغي أن نتخذه عبادة وقربة إلى العزيز الوهاب، نحتسب أجرها، ونرجو ثوابها، فكل ما يحبه الله عبادة وقربة، وكل ما يبغضه الله تعالى معصية وكربة.

الحلم وحسن الخلق في درجة القيام والصيام

وعن عائشة ﵂، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم والقائم**»[٤].

ما أكرم الله، وما أعظم بركته على عباده، فإنه يعطي على الرفق، وحسن الخلق درجات عالية، فصبر على الأذى، وبذل للندى، وحلم عن الجاهل توصل العبد إلى درجات القائمين بالليل، والصائمين النهار.

الحلم بالتَّحَلُّم

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما العلم بالتعلم و إنما الحلم**

---

(١) رواه ابن ماجة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٢٨١٠).
(٢) رواه مسلم برقم(١٢٦).
(٣) صحيح الأدب المفرد للألباني برقم(٢٣٨).
(٤) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه، والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب، برقم(٢٦٤٣).

بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتق الشر يوقه»[(١)] .

وكما أن الحلم فطريٌّ جِبِلِّيٌّ يولد مع الإنسان كما في حديث أشج عبد القيس، فهو كذلك يأتي بالتحلُّم، والتَّخَلق، والتصبر، والدّربة، والمران، ومجالسة الحلماء، والنظر في سير أهل الحلم.

ففي عيون الأخبار[(٢)]:قال الأحنف بن قيس: كنا نختلف إلى قيس بن عاصم نتعلَّم منه الحلم كما نتعلم من الفقهاء الفقه.

قيل للأحنف وكان أحلم الناس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من نفسي، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا كرهت شيئاً من غيري لم أفعل بأحد مثله[(٣)] .

والأخلاق كلها في حاجة إلى التعهد بالتربية والتهذيب، وأشدها إلى ذلك خلق الحلم؛ فإن لم تكن حليماً فتحلم، والأجر على قدر المشقة، قال ابن عون، عن الحسن، قال الأحنف: لست بحليم، ولكني أتحالم.

قال الشاعر:

تَحَلَّمْ عَنْ الْأَدْنَيْنِ وَاسْتَبْقِ وُدَّهُمْ ... وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا[(٤)]

وقال علي رضي الله عنه: إن لم تكن حليماً فتحلم، فإنه قل من تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم[(٥)] .

حلم بحلم وعفو بعفو والجزاء من جنس العمل

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم، ويل لأقماع القول، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا، وهم**

---

(١) رواه الدارقطني والخطيب وكذا رواه الخطيب عن أبي الدرداء وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٢٣٢٨).
(٢) عيون الأخبار (١ / ١٢١).
(٣) انظر الأربعين النووية (١ / ٣٥).
(٤) انظر الآداب الشرعية (٢ / ٣١٨).
(٥) انظر شرح نهج البلاغة (٢٠ / ٩٥).

يعلمون»[(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كان رجلُ يُدَايِنُ الناسَ فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه؛ لعل الله أن يتجاوز عنا. قال: فلقي الله فتجاوز عنه»**[(٢)].

فارحم أخي يرحمك الله، واعف يعف الله عنك، وتجاوز يتجاوز الله عنك، وإياك أن تكون من أقماع القول، الذين لا يفقهون، ألا تحب أن يغفر الله لك، وقد دعاك لذاك، وهو الغفور الودود.

وخاصم رجل رجلاً فقال: حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: قال رجل: لمثل هذا اليوم كنت أدع الفحش على الرجال، فقال له خصمه: فإني أدع الفحش عليك اليوم لما تركته أنت له قبل اليوم[(٣)].

وأغلظ عبدٌ لسيده، فقال: إني أصبر لهذا الغلام على ما ترون؛ لأروض نفسي بذلك، فإذا صبرت للمملوك على المكروه كنت لغير المملوك أصبر[(٤)].

حلم النبي ﷺ على قومه

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨**﴾ [التوبة:١٢٨].

أقول: لقد بلغ سيل حلمه الزُّبا، وطمّ على الرُّبى، وأجري في المدن والقرى،ووسع جميع الورى.

فعن عروة بن الزبير ﷺ أن عائشة ﷺ زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت لرسول الله

---

(١) رواه أحمد والبخاري في الأدب، والبيهقي في الشعب، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم:(٨٩٧).
(٢) رواه البخاري برقم (٣٤٨٠) ومسلم برقم(٤٠٨١).
(٣) عيون الأخبار (١/ ١٢٢).
(٤) عيون الأخبار (١/ ١٢٢).

ﷺ: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال: « **لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم، قال فناداني ملك الجبال وسلم عليَّ. ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك؛ لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين** ». فقال له رسول الله ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا**»[1].

[قلت]: تحقق له ما أراد فقد خرج من أصلابهم أئمة يهتدى بهم، ومجاهدون يحتمى بهم، بل رجع منهم أنفسهم من أعز الله بهم الإسلام، وكسر بهم الكفر، فجنى ثمرة حلمه وصبره، وقرت عينه بذلك ﷺ.

حلم النبي ﷺ في القرآن والتوراة

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:٤].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾ [آل عمران:١٥٩].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن هذه الآية التي في القرآن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ [الأحزاب:٤٥]، قال في التوراة: يا أيها النبي إنا

(١) رواه البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم برقم (٤٧٥٤).

أرسلناك شاهدا ومبشرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا[(١)].

وعن عائشة ﵂ قالت: (لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشا ولا سخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح)[(٢)].

حلم النبي ﷺ عن اليهود

عن أنس ﵁ أن اليهود دخلوا على النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، فقال النبي ﷺ: «**السام عليكم**»، فقالت عائشة: السام عليكم يا إخوان القردة والخنازير ولعنة الله وغضبه! فقال ﷺ: «**يا عائشة مه!**»، فقالت: يا رسول الله أما سمعت ما قالوا؟ قال: «**أو ما سمعت ما رددت عليهم؟ يا عائشة! لم يدخل الرفق في شيء إلا زانه ولم ينزع من شيء إلا شانه**»[(٣)].

حلم النبي ﷺ عن غورث بن الحارث

عن جابر بن عبد الله ﵄ قال: (قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة بنخل، فرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحرث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟ قال: «**الله** ﷻ» فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ فقال: «**من يمنعك مني؟**» قال: كن كخير آخذ. قال: «**أتشهد أن لا إله إلا الله؟**» قال: لا ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، قال: فذهب إلى أصحابه قال: قد جئتكم من عند خير

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٨٣٨).
(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم(٥٨٢٠).
(٣) أخرجه أحمد وصححه الألباني في الإرواء (٥ / ١١٨).

الناس)[١].

حلم النبي ﷺ مع نسائه

عن أنس ؓ قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة، فيها طعام فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة، فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فِلَقَ الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسِرَتْ صحفتُهَا، وأمسك المكسورة في بيت التي كَسَرَتْ[٢].

وفي رواية الترمذي: فقال النبي ﷺ: «**طعام بطعام وإناء بإناء**»[٣].

[قلت]: ما أعظم حلمه عليه الصلاة والسلام، في بيته وقوله: «**طعام بطعام، وإناء بإناء**»، وحل المشكلة في أقرب وقت، وبأسهل عبارة، بينما ربما أدت مثل هذه المواقف عند كثير من المسلمين إلى فراق وضرب وعتاب، وخلافات لا حدود لها.

النبي ﷺ ورجل من العرب

عن عبد الله بن أبي بكر عن رجل من العرب قال: (زحمت رسول الله ﷺ يوم حنين، وفي رجلي نعل كثيفة، فوطئت على رجل رسول الله ﷺ فنفحني نفحة بسوط في يده، وقال: «**بسم الله، أوجعتني**».قال: فبتُّ لنفسي لائماً أقول: أوجعت رسول الله ﷺ، فبتُّ بليلة كما يعلم الله، فلما أصبحنا إذا رجل يقول: أين فلان؟ قال: قلت: هذا والله الذي كان مني بالأمس. قال: فانطلقت وأنا متخوف، فقال لي رسول الله ﷺ: «**إنك وطئت بنعلك على رجلي بالأمس، فأوجعتني، فنَفَحْتُكَ بالسوط؛ فهذه ثمانون**

---

(١) رواه أحمد، وأصله في الصحيحين.
(٢) رواه البخاري برقم(٥٢٢٥).
(٣) صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم(١٣٥٩).

نعجة فخذها بِها»(١).

[قلت]: حلم وصفح، وكرم وإحسان، وبهذا يسود أهل الصفات الحميدة، والأخلاق الفاضلة الجميلة، هو الذي زحم النبي ﷺ ومع هذا أكرمه وزاده، وقد أحسن من قال:

وإذا كانـــت النفـــوس كبـــارا تعبـــت في مرادهـــا الأجســـام

النبي ﷺ وسواد بن غزية

قال ابن إسحاق في السيرة(٢): وحدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه: أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، و في يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية -حليف بني عدي بن النجار- وهو مستنتل من الصف، فطعن في بطنه بالقدح، وقال: «**استو يا سواد**»، فقال: يا رسول الله! أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقدني. قال: فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: «**استقد**»، قال: فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**» قال: يا رسول الله! حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك: أن يمس جلدي جلدك! فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له: استو يا سواد(٣).

حلم النبي ﷺ مع أنس

عن أنس بن مالك ﷺ قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لي: أفا. قط ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا). زاد أبو الربيع ليس مما يصنعه

---

(١) أخرجه الدارمي وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم(٣٠٤٣).
(٢) السيرة لابن هشام (٢ / ٢٦٦).
(٣) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٨٣٥).

الخادم[(١)].

[قلت]: إذا كان هذا مع خادمه، فكيف بأهله، وأما نحن اليوم فما يتحمل الشخص ولده، ولا ابنته ولا زوجته، ربما يعاتب عتاب عشر سنين في يوم، أو أسبوع، حيث وجد الشيطان فراغا عند الرجال والنساء، فجعلهم أحاديث، ومزقهم كل ممزق، ربما قل الملح في الطعام، أو تأخر الطعام عن موعده دقائق، فحصل الخلاف والشقاق، وربما أدى إلى الطلاق، وحال بعضهم كما قيل:

يا أبجر بن أبجر يا أنت   أنت الذي طلقت عام جعت

فتجد الطلاق لغة عند كثير من الناس، إن جاع طلق، وإن شبع طلق، وإن غضب طلق، وإن ضربه أبوه طلق زوجته، وإن أغضبه أحد طلق زوجته إلا من رحم الله.

النبي ﷺ وصاحب الدين

عن أبي هريرة ﷺ قال: كان لرجل على رسول الله ﷺ حق فأغلظ له، فهم به أصحاب النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**إن لصاحب الحق مقالا**»، فقال لهم: «**اشتروا له سِنًّا فأعطوه إياه**». فقالوا: إنا لا نجد إلا سنا هو خير من سِنِّهِ. قال: «**فاشتروه فأعطوه إياه فإن من خيركم -أو خيركم- أحسنكم قضاءاً**»[(٢)].

النبي ﷺ مع سودة وعائشة

عن يحيى بن عبد الرحمن أن عائشة ﷺ قالت: أتيت رسول الله ﷺ بخزيرة طبختها له، فقلت لسودة والنبي ﷺ بيني وبينها، فقلت لها: كلي. فأبت، فقلت: لتأكلنَّ أو لألطخنَّ وجهك. فأبت، فوضعت يدي في الخزيرة فطليت بها وجهها! فضحك النبي ﷺ فوضع فخذه لها وقال لسودة: «**الطخي وجهها**» فلطخت وجهي، فضحك النبي ﷺ أيضاً، فمرَّ عمر فنادى: يا عبد الله! يا عبد الله! فظن النبي ﷺ أنه

---

(١) رواه البخاري برقم(٥١٦٦) ومسلم برقم(٦١٥١).
(٢) رواه البخاري برقم(٢٣٠٦)ومسلم برقم(٤١٩٤).



سيدخل فقال لهما: «**قُوما فاغسِلا وجوهَكُما**»، يعني: عائشة و سودة. قالت عائشة: فما زلت أهاب عمر؛ لهيبة رسول الله ﷺ إياه[(١)].

[قلت]: أين نحن من السياسة الشرعية، والتربية النبوية، التي تنعش الحياة، وتعالج القضايا، بدون أي تعب ولا خسارة، ولا تحتاج إلى غضب ونصب، فالعدل والإنصاف يقطعان الخلاف، وبهما قامت السماوات والأرض، لطخة بلطخة، ويستقبل الجميع ذلك العدل برحابة صدر، وراحة نفس، بل وابتسامات مشرقة، وتتحول تلك المواقف الصعبة في أنظارنا إلى قصص ممتعة، وسرور دائم، وكأنها فكاهة أو دعابة، فسبحان من جعل من خلقه، من يقلب الترح فرحا والحزن سرورا، هذا مع حبه عليه الصلاة والسلام لعائشة أكثر من سودة؛ ولكنه العدل الذي أمره الله به، وإذا قلتم فاعدلوا، ولو تأملنا مواقفنا الأسرية فضلا عن الخارجية؛ لوجدنا فرقا واسعا، وبونا شاسعا، لو لطخت الضرة وجه ضرتها أمام زوجها؛ لقامت الدنيا ولم تقعد، وحبكت العبارات الشيطانية، وتحولت الأسرة الواحدة إلى طائفتين متناحرتين، ربما قالت المرأة: أتهان عندك بنات الشرف، وتلطخ وجوههن، فتثور ثائرة الجهول، فربما هشم العظم، وقطع اللحم، وكسر الراس وفرق الأضراس، وحول البيت إلى ميدان حرب فتكفأ القدور، وتوغر الصدور، ويتفرق الأحبة، وتعلن تغلب حربها على بكر، وتصرخ البسوس؛ لتطير الجماجم والرؤوس، وتثار حرب الفجار، وتندلع حرب ابن كلثوم وابن هند، وكان الحل يسيرا، والأمر أسهل من ذلك، ولو أصلح الرجل بالعقل، وأخذ بالخاطر، وأنصف المظلوم من الظالم، وهو يبتسم؛ لعادت الأمور إلى مجاريها، وكفى نفسه موقفا أصعب من الصبر، وأخذ الشر بتلابيبه،

(١) أخرجه أبو بكر الشافعي في الفوائد، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم(٣١٣١).

وأودعه صدر الشيطان، فعاد خاسئا حقيرا، فليحذر المسلم من الفتن وليقتدي بخيرة الخلق ﷺ فكما قيل: الشجاعة صبر ساعة، وإنما الصبر عند الصدمة الأولى.

النبي ﷺ والأعرابي

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء[(١)].

النبي ﷺ ورجل يستأذنه في الزنا

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: (إن فتى شابا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه! فقال: «**ادنه**»، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**»، قال: «**أفتحبه لابنتك؟**» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**»، قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**» قال: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**»، قال: «**أفتحبه لخالتك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**»، قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه**». فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)[(٢)].

[قلت]: لقد جعل النبي ﷺ من هذا الشاب، رمزاً للقناعة، بإسلوب الحكيم،

---

(١) رواه البخاري برقم (٣١٤٩).
(٢) أخرجه أحمد، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة"برقم: (٣٧٠).

الذي لا يملكه إلا من وفقه الله تعالى وسدده في دعوته، وكلامه فلقد جاء الشاب، وما شيء أحب إليه من الزنا، ثم لم يكن شيء بعد ذلك أبغض إليه من الزنا، ملك النبي ﷺ قلبه بحلمه، وحسن خلقه، بعد أن استنكر الصحابة طلبه للفاحشة، فالمطلوب احتواء الناس وعدم تنفيرهم، ثم وضع الحجة بأسهل طريق حسب الطاقة والقدرة، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، وكما يقال: إذا كان الماء في رأس الوادي؛ فلا داعي للنزول إلى أسفله، فإذا كان الإقناع يحصل بالرفق واللين وحسن المعاملة، فلا داعي لاستخدام الشدة والعنف، وكل شيء بحسبه، والتوفيق بيد الله.

النبي ﷺ والشاة المسمومة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، فقالت: أردت؛ لأقتلك. قال:«**ما كان الله؛ ليسلطك على ذاك**». أو قال «**عَلَيَّ** ». قال: قالوا: ألا نقتلها؟ قال: «**لا**». قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ[(١)] .

قال القاضي عياض: واختلفت الآثار والعلماء: هل قتلها النبي ﷺ أم لا؟ فوقع في مسلم أنهم قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا. ومثله عن أبي هريرة وجابر. وعن جابر من رواية أبي سلمة: أنه قتلها. وفي رواية ابن عباس: أنه دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور، وكان أكل منها فمات بها فقتلوها. وفي رواية أبي داود: فأمر بها فقتلت. وفي لفظ: قتلها وصلبها، وفي (جامع معمر) عن الزهري: لما أسلمت تركها. قال معمر: كذا قال الزهري: أسلمت والناس يقولون: قتلها، وأنها لم تسلم، وقال السهيلي: قيل: إنه صفح عنها. قال القاضي: وجه الجمع بين هذه الروايات والأقاويل: أنه لم يقتلها إلا حين اطَّلع على سحرها، وقيل له: اقتلها، فقال: لا فلما مات بشر بن البراء من

---

(١) رواه البخاري برقم(٢٦١٧)ومسلم برقم(٥٨٣٤).

ذلك سلمها لأوليائه؛ فقتلوها قصاصا فصح قولهم: لم يقتلها أي في الحال، ويصح قولهم: قتلها أي بعد ذلك، والله أعلم[١].

[قلت]: وقد وردت روايات ضعفها العلماء، منها: أنه قام الجدي على قدميه، ونطق أنه مسموم، ومنها أنه لم يضر أحدا، ومنها أنه عفا عنها مطلقا، والذي تجتمع به الأدلة: أنه عفا عنها في حقه، وقتلها بمن قتلته، والله أعلم.

النبي ﷺ والساحر اليهودي لبيد

قال البخاري رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل:٩٠]. وقوله: ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس:٢٣]. ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج:٦٠]، وترك إثارة الشر على مسلم، أو كافر.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت مكث النبي ﷺ كذا وكذا يُخَيَّل إليه أنه يأتي أهله، ولا يأتي قالت عائشة: فقال لي ذات يوم: «**يا عائشة إن الله أفتاني في أمر استفتيته فيه، أتاني رجلان فجلس أحدهما عند رجلي والآخر عند رأسي، فقال الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب يعني مسحور، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم. قال: وفيم؟ قال: في جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ في مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، تحت رَعُوفَةٍ في بئر ذَرْوَانَ**»، فجاء النبي ﷺ، فقال: «**هذه البئر التي أريتها كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين، وكأن ماءها نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ**»، فأمر به النبي ﷺ فأخرج، قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله فهلا -تعني- تَنَشَّرْتَ، فقال النبي ﷺ: «**أما الله فقد شفاني، وأما أنا فأكره أن أثير على الناس شرا**»، قالت: ولبيد بن أعصم رجل من بني زُرَيْقٍ حليف

---

(١) انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢ / ٣٧٣).



ليهود[1].

[قلت]: وقد عفا عنه النبي ﷺ ولم يقتله، وقال: أما أنا فقد شفاني الله.

النبي ﷺ والأعرابي الذي بال في المسجد

عن أنس بن مالك ﷺ قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: «**مه مه**». قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزرموه دعوه**». فتركوه حتى بال. ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن**»، قال فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه[2].

[قلت]: هذا هو الحلم الذي تألف به قلوب الناس، وحببهم في الإسلام، وجعل يقول: (اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا)، لقد ترك النبي ﷺ الكلمات النابية، وتكلم مع الأعرابي بمقتضى خلقه الذي فطره الله عليه، وبمقتضى حال الأعرابي، لم يصرخ في وجهه بقوله: حرام، أو يا قذر لا تلطخ المسجد، بل قال له بأسلوب المربي العظيم: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من الأقذار، ومنع أصحابه من انتهاره؛ لئلا ينفر، ولا يلوث المسجد، وثيابه، فيؤدِّي ذلك إلى منكر أكبر، بل لقد تعلم الصحابة، وتعلمنا جميعا من هذا الحديث آداباً جمة، وعلوما مهمة، فالحلم يبني الرجال، ويصلح الأجيال، فأين هذه المعاملة من قوم نهروا رجلاً، قطرت منه قطرات من البول وكان به سلس، فسبوه وشتموه في أحد المساجد، فترك الجماعة، والجمعة، بل ما دخل المسجد بعدها حتى مات؛ مما لقي من المصلين.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٠٦٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٠٢٥)ومسلم برقم (٦٨٧).

النبي ﷺ ومعاوية بن الحكم السلمي

عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت يرحمك الله؛ فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ! ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني سكتُ، فلما صلى رسول ﷺ -فبأبي هو وأمي- ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني ولا شتمني، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»، أو كما قال رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالا يأتون الكهان، قال: «**فلا تأتهم**». قال: ومنا رجال يتطيرون. قال: «**ذاك شيء يجدونه في صدورهم؛ فلا يصدنهم**». قال: قلت: ومنا رجال يخطون، قال: «**كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك**». قال: وكانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجَوَّانِيَّة، فاطلعت ذات يوم، فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صَكَكْتُهَا صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فَعَظَّمَ ذلك علي قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «**ائتني بها**»، فأتيته بها، فقال لها: «**أين الله**» قالت في السماء قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[1].

[قلت]: ما أعظم حلمه، هل رأيت في التعليم أحلى منه، فقد فتح صدر الرجل بعد أن كان على وجل من اللحظات والنظرات، وضرب الأفخاذ بالأكف، فوصف نبينا عليه الصلاة والسلام بأعلى أوصاف الكمال البشري، حيث أدبه فأحسن تأديبه،

---

(١) رواه مسلم برقم(٨٣٦).

وعلمه فأحسن تعليمه، بل وجد الرجل مساغاً للأخذ والرد مع سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، وتذكر موقفه مع الجارية، التي صكها، وأتى بها النبي ﷺ فأمره بإعتاقها، لقد أثر هذا الموقف العظيم حتى جعل معاوية يفديه بأبيه وأمه، لقد خضع لطلب العلم، وازداد حبه له، وشغفه به، وصدق حين قال: ما رأيت مربياً مثله، ونحن نقول: بآبائنا وأمهاتنا نفديه، والله ما سمعنا مربيا مثله على وجه الأرض فصلى الله عليه وعلى آله، وصحبه أجمعين.

رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون، عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى

عن عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد، ﭭ أخبره أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة فَدَكِيَّة، وأسامة وراءه يعود سعد بن عبادة في بني حارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، فسارا حتى مرا بمجلس فيه عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المسلمين عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خَمَّرَ ابن أبيٍّ أنفه بردائه وقال: لا تغَبِّرُوا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال له عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء لا أحسن مما تقول إن كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا فمن جاءك فاقصص عليه، قال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك فاسْتَبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يَتَثَاوَرُون، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا، ثم ركب رسول الله ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال رسول الله ﷺ: «**أي سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب -يريد عبد الله بن أبي- قال كذا وكذا**»، فقال سعد بن عبادة: أي رسول الله بأبي أنت اعف عنه واصفح فو الذي أنزل



عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ولقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شَرِقَ بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ..﴾ الآية [آل عمران:١٨٦][١].

حلم إبراهيم الخليل عليه السلام

قال الإمام العلم أبو جعفر بن جرير: كان إبراهيم كثير الدعاء حليما عمن ظلمه وأناله مكروها؛ ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه في قوله: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ۝٤٦ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ۝٤٧﴾ [مريم: ٤٦، ٤٧]، فحلم عنه مع أذاه له، ودعا له واستغفر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ۝١١٤﴾ [التوبة:١١٤][٢].

وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الحلم من الخلال التي ترضي الله، وهو يجمع لصاحبه شرف الدنيا والآخرة، ألم تسمعوا الله تعالى وصف خليله بالحلم، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ۝١١٤﴾ [التوبة:١١٤].

حلم إسماعيل عليه السلام

قال السعدي رحمه الله في تفسيره:وقال: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١﴾ [الصافات:١٠١]، وهذا إسماعيل عليه السلام بلا شك، ووصف اللهّ إسماعيل عليه السلام بالحلم، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عمن جنى.

وقال الرازي في مفاتيح الغيب[٣]:

(١) رواه البخاري برقم (٦٢٠٧).
(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٢٧).
(٣) مفاتيح الغيب (٢٦ / ٣٤٦).

بين في هذه الآية ما يدل على كمال حلمه، وذلك؛ لأنه كان به من كمال الحلم وفسحة الصدر ما قواه على احتمال تلك البلية العظيمة، والإتيان بذلك الجواب الحسن.

وقال في التحرير والتنوير(١):

والحليم: الموصوف بالحلم، وهو اسم يجمع أصالة الرأي، ومكارم الأخلاق والرحمة بالمخلوق.

قيل: ما نعت الله الأنبياء بأقل مما نعتهم بالحلم.

قال البيضاوي في تفسيره(٢):

فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وبأنه ذكر يبلغ أوان الحلم؛ فإن الصبي لا يوصف بالحلم، ويكون حليما، وأي حلم مثل حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح، وهو مراهق، فقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين وقيل: ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير إبراهيم وابنه عليهما الصلاة والسلام وحالها المذكورة بعد تشهد عليه.

قال الماوردي في تفسيره(٣):

قوله عز وجل: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات:١٠١]: أي وقور. قال الحسن: ما سمعت الله يحل عباده شيئاً أجل من الحلم.

حلم نبي الله يوسف ويعقوب عليهما السلام

قال جل في علاه: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ

(١) التحرير والتنوير (٢٣/ ٦٢).
(٢) تفسير البيضاوي (٥/ ٢٠).
(٣) تفسير الماوردي (٥/ ٦٠).

قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف:٨٨-٩٨].

قال عكرمة: إن الله تعالى قال ليوسف عليه السلام: بعفوك عن إخوتك رفعت ذكرك في الذاكرين. انتهى.

فتأمل أخي القارئ الكريم، بعد سنين طويلة، في شدة الفراق، وعظيم البلاء، وتباعد الأخلاء، وبعد غيابت الجب، وغياهيب السجن، وبعد ابيضاض العينين من الحزن، والإشراف على الهلاك من الوجد، ومعاناة الأب من فقد الولد، والولد من فراق الأب، وبعد هجر الإخوة وكيدهم، يكون الحلم والعفو في طرفة عين، وبدون عتاب ولا تثريب، ولا لوم، وعلاوة على ذلك دعاء بالمغفرة، ووعد بذلك، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، فأين المقتدون بالأنبياء والصالحين، إن أحدنا لا يتحمل اليوم أباه، ولا أمه، ولا أخاه ولا أخته، ولا جاره ولا قريبه، ولا يعفو ولا يصفح على كلمة، أو مظلمة، أو فراق ساعة، أو جناية يسيرة، أو اختلاف أفهام، أو تشاجر نساء وأطفال، فإلى الله المشتكى من قلوب ضاقت بالعفو ذرعا، ولم يجد فيها الحلم محلا.



حلم موسى عليه السلام

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسا من أشراف العرب، وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله. قال: فقلت: والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فأتيته فأخبرته بما قال. قال: فتغير وجهه حتى كان كالصِّرْف، ثم قال: «**فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله**». ثم قال: «**يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»(١).

من حلم عيسى عليه السلام

ومر عيسى عليه السلام ببعض الخلق فشتموه، ثم مر بآخرين فشتموه فكلما قالوا شراً قال خيراً، فقال له رجل من الحواريين: كلما زادوك شراً زدتهم خيراً كأنك إنما تغريهم بنفسك، وتحثهم على شتمك، فقال: كل إنسان يعطي مما عنده.

وهذا وإن كان مخرجه مخرج الحلم فهو منه عليه السلام احتساب وتأديب(٢).

الصحابة في القرآن حلماء كرماء رحماء

قال جل وعلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

(١) رواه البخاري برقم(٣١٥٠)ومسلم برقم(٢٤٩٤).
(٢) انظر شرح نهج البلاغة (٢٠ / ٩٥).

ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ [الفتح:٢٩].

وقال تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر:٨-١٠].

[قلت]:ما اختارهم الله لنصرة رسوله إلا لطهارة قلوبهم، وزكاة أنفسهم؛ ولذا كانوا أذلة فيما بينهم، رحماء حلماء، مثلهم بالزرع الذي يعيش مع بعضه بسلام؛ حتى يصيروا غيظاً للكفار، ووصفهم بالإيثار والتعاطف وسلامة الصدر، والألفة والمحبة، والإيمان والفلاح، وكل هذه الصفات تعظم في روضة حلمهم رضي الله عنهم.

الحلم للسفيه كالماء للنار

ومن بلاغات الزمخشري: ما ردع السفيه بمثل الإعراض وما أطلق عنانه بمثل العراض، سورة السفيه تكسرها الحلماء، والنار المضطرمة يطفئها الماء.

يعنى: أن سورة السفيه كالنار المضطرمة ولا يطفؤها إلا الحلم كما لا يطفئ النار إلا الماء، والنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله(١).

الحلم كثرة الصمت

كان وهب بن منبه يقول لجلسائه: الحلم الذي لا يتعايا الحلماء فيه، أكثر الصمت إلا أن تسأل عن شيء(٢).

(١) تفسير حقي (٧/ ٤٩٥).
(٢) انظر الترغيب في فضائل الأعمال ٣٨٥ - (١ / ٢٧٧).

وعن حبيب الجلاب قال: سألت ابن المبارك فقلت: ما خير ما أعطي الإنسان؟ فقال: غريزة عقل، قلت: فإن لم يكن، قال: حسن أدب قلت: فإن لم يكن قال: أخ شفيق يستشيره، فيشير عليه، قلت: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل(١).

قال الأصمعي: سمعت ابن المبارك يقول: إنه ليعجبني من القراء كل طلق مضحاك، فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس، كأنه يمن عليك بعمله، فلا أكثر الله في القراء مثله(٢).

الحليم هو الشديد والقوي المنصور

قال أكثم بن صيفي: العز والغلبة للحلم.

وقال عليّ بن أبي طالب ﷺ: أول عوض الحليم من حلمه، أن الناس أنصاره على الجهول(٣).

الحليم تكفيه الإشارة

قال المنصور: عقوبة الحلماء التعريض، وعقوبة السفهاء التصريح(٤).

حقيقة الحلم

هو الطمأنينة عند سورة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظالم(٥).

وقيل لعيسى بن طلحة بن عبيد الله –وكان حليما– ما الحلم؟ قال: الذل.

وقال معاوية: إن الحلم الذل.

قال عيينة بن حصن: ما يسرني بنصيبي من الذل حمر النعم، قيل وكيف ذاك؟ قال:

---

(١) انظر التدوين في أخبار قزوين (١ / ٤٠٩).
(٢) انظر مختصر تاريخ دمشق (٤ / ٣٨٦).
(٣) انظر المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (١٠ / ٣١٥).
(٤) انظر عيون الأخبار (١ / ١٢٠).
(٥) انظر التعريفات (١ / ١٢٥).

أسمع الكلمة فأكرهها فأحتملها كرامة أن أجيب، فتعاد عليَّ"[١].

هل الحلم يشتبه بالذلة

والحلمُ لا يشتبه بالذلة في حال؛ فإن الذلة احتمال الأذى على وجه يذهب بالكرامة.

أما الحلم فهو: إغضاء الرجل عن المكروه حيث يزيده الإغضاء رفعة ومهابة.

ولا يظهر معنى الحلم إلا مع القدرة على دفع الأذى.

فضل الحلم وكظم الغيظ

﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٤].

(وَالْعافِينَ عن الناس): أي الجناة والمسيئين. وقال ابن عباس وأبو العالية والربيع: المماليك. وهذا مثال، إذ الأرقاء تكثر ذنوبهم لجهلهم، وملازمتهم، وإنفاذ العقوبة عليهم سبيل للقدرة عليهم. وقال الحسن: والكاظمين الغيظ عن الأرقاء، والعافين عن الناس إذا جهلوا عليهم.

وأنشد أبو القاسم بن حبيب:

وإذا غضبت فكن وقورا كاظما ... للغيظ تبصر ما تقول وتسمع

فكفى به شرفا تصبر ساعة ... يرضى بها عنك الإله ويدفع[٢]

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم وأحب الأعمال إلى الله عز وجل: سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن**

---

(١) انظر الحلم (١ / ٣٧).
(٢) انظر البحر المحيط (٣/ ٣٤٧).



أعتكف في المسجد شهرا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، و من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»[(١)].

وروي عن ميمون بن مهران: أن جاريته جاءت ذات يوم بصحفة فيها مرقة حارة، وعنده أضياف، فعثرت فصبت المرقة عليه، فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية: يا مولاي! استعمل قول الله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران:١٣٤]. قال لها: قد فعلت. فقالت: أعمل بما بعده ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤]. فقال: قد عفوت عنك. فقالت الجارية: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٤]. قال ميمون: قد أحسنت إليك، فأنت حرة لوجه الله تعالى[(٢)].

الحليم سيد قومه

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ يوما للأنصار: «**من سيدكم؟**» قالوا: الجد بن قيس على بخل فيه، فقال النبي ﷺ: «**أي داء أدوأ من البخل؟ بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح**»[(٣)].

وسئل عبد الله بن عمر ﵁ عن السُّؤْدُد فقال: الحلم السؤدد. وقال أيضا: نحن معشر قريش نعد الحلم والجود السؤدد، ونعد العفاف وإصلاح المال المروءة.

وقال أبو عمرو بن العلاء: كان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من كانت فيه ست خصال، وتمامها في الإسلام سابعة: السخاء والنجدة والصبر والحلم والبيان

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٧٦).
(٢) انظر تفسير القرطبي (٤ / ٢٠٧).
(٣) رواه البخاري في الأدب، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم(٧١٠٤).

والحَسَب، وفي الإسلام زيادة العفاف.

ذكر لعبد الله بن عمر أبو بكر وعمر، وعثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنهم فقال كان معاوية أسود منهم وكانوا خيرا منه.

فقال شاعرهم في ذلك:

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ وَالحَقُّ قَوْلُهُ ... لِمَنْ قَالَ مِنَّا مَنْ تُسَمُّونَ سَيِّدَا

فَقَالُوا لَهُ الجَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى الَّتِي ... نُبَخِّلُهُ فِيهَا وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَا

فَتًى مَا تَخَطَّى خُطْوَةً لِدَنِيَّةٍ ... وَلَا مَدَّ فِي يَوْمٍ إِلَى سَوْأَةٍ يَدَا

فَسَوَّدَ عَمْرَو بْنَ الْجَمُوحِ بِجُودِهِ ... وَحُقَّ لِعَمْرٍو بِالنَّدَى أَنْ يُسَوَّدَا[١]

وقال عبيد بن الأبْرَص:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْمَلْ بِرَأْيٍ وَلَمْ تُطِعْ ... أُولِي الرَّأْيِ لَمْ تَرْكَنْ إِلَى أَمْرِ مُرْشِدِ

وَلَمْ تَجْتَنِبْ ذَمَّ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا ... وَتَدْفَعُ عَنْهَا بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

وَتَحْلُمُ عَنْ جُهَّالِهَا وَتَحُوطُهَا ... وَتَقْمَعُ عَنْهَا نَخْوَةَ الْمُتَهَدِّدِ

فَلَسْتَ وَلَوْ عَلَّلْتَ نَفْسَكَ بِالْمُنَى ... بِذِي سُؤْدُدٍ بَادٍ وَلَا قُرْبِ سُؤْدُدِ[٢]

قال معاوية رضي الله عنه: يا معشر طيء من سيدكم؟ قالوا: خريم بن أوس من احتمل شتمنا، وأعطى سائلنا، وحلم عن جاهلنا، واغتفر فضل ضربنا إياه بعصينا[٣].

وعن علي بن الحسين قال: قيل لرجل من الفرس: أي ملوككم كان أحمد عندكم؟ قال: للأردشير فضيلة السبق غير أن عندنا سيرة أنوشيروان. قيل: فأي أخلاقه كان أغلب عليه؟ قال: الحلم والأناة. قيل هما توأمان ينتجهما علو الهمة.

---

(١) انظر الآداب الشرعية (٢/ ٣١٤).
(٢) انظر الآداب الشرعية (٢/ ٣١٦).
(٣) انظر الحلم (١/ ٤٠).

وقال علي بن الحسن: كان يقال: السؤدد الصبر على الذل[(١)].

وأحضر الرشيد رجلاً ليولّيه القضاء، فقال له: إني لا أحسن القضاء، ولا أنا فقيه.

قال الرشيد: فيك ثلاث خلال: لك شرف، والشرف يمنع صاحبه من الدناءة. ولك حلم يمنعك من العجلة، ومن لم يعجل قلّ خطؤه. وأنت رجل تشاور في أمرك، ومن شاور كثر صوابه، وأما الفقه فسينضم إليك من تتفقّه به. فولي فما وجدوا فيه مطعناً.

وقال المرار بن سعيد:

إذا شئت يوماً أن تسود عشيرة — فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم

وللحلم خير فاعلمن مغبة — من الجهل إلا أن تشمس من ظلم

وفي المثل: احلم تسد[(٢)].

قال رجل للأحنف بن قيس: بم سدت قومك وأنت أحنف أعور؟ قال: بتركي ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك.

وذكر أنه هو القائل: لا تزال العرب بخير ما لبست العمائم. وتقلدت السيوف وركبت الخيل، ولم تأخذها حمية الأوغاد.

وقيل: وما حمية الأوغاد؟ قال: أن يروا الحلم ذلّا، والتواهب ضيمًا[(٣)].

ولقد أحسن من قال:

ليس الغبي بسيد في قومه — لكن سيد قومه المتغابي

والحليم ليس بغبي، ولكنه متغابي.

الحليم هو الشديد

عن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ مر بقوم يرفعون حجراً، فقال: «**ما يصنع هؤلاء؟**»

---

(١) انظر الحلم (١/ ٣٩).
(٢) رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار (١/ ٣٣٢).
(٣) انظر المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (١٠/ ٣١٥).

فقالوا: يرفعون حجراً يريدون الشِّدة، فقال النبي ﷺ: «**أفلا أدلكم على ما هو أشد منه؟**-أو كلمة نحوها- **الذي يملك نفسه عند الغضب**».

وفي رواية: أن النبي ﷺ مرَّ بقوم يصطرعون، فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: يا رسول الله! هذا فلان الصَّريع، ما يصارع أحداً إلا صرعه، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا أدُلُّكم على مَن هو أشدُّ منه؟ رجل ظلمَه رجل، فكظم غيظه فغلبه، وغلب شيطانه، وغلب شيطان صاحبه**».

وفي رواية: «**الذي يملك نفسه عند الغضب**»(١).

وقال: ويشهد له حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً بلفظ: «**ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**». أخرجه الشيخان وغيرهما، وابن حبان؛ ولفظه: «**ليس الشديد من غلب الناس، وإنما الشديد من غلب نفسه**».

من أحلم الناس

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سأل موسى ربَّه عن ستِّ خصال؛ كان يظن أنَّها له خالصة، والسابعة لمْ يكن موسى يحبُّها:**

١- قال: يا ربِّ! أي عبادك أتقى؟ قال: الذي يذكر ولا ينسى.

٢- قال: فأيُّ عبادك أهدى؟ قال: الذي يتبع الهدى.

٣- قال: فأيُّ عبادك أحكم؛ قال: الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه.

٤- قال: فأيُّ عبادك أعلم؟ قال: الذي لا يشْبعُ من العلم؛ يجمع علم الناس إلى علمه.

٥- قال: فأيُّ عبادك أعزُّ؟ قال: الذي إذا قدر غفر.

٦- قال: فأيُّ عبادك أغنى؟ قال: الذي يرضَى بما يُؤتى.

٧- قال: فأيُّ عبادك أفقر؟ قال: صاحبٌ منقوصٌ».

قال رسول الله ﷺ: «**ليس الغنى عن ظهر، إنّما الغنى غنى النفس، وإذا أراد الله**

---

(١) أخرجه البزار، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٢٩٥).

بعبد خيْراً؛ جعل غناه في نفسه، وتقاه في قلبه، وإذا أراد الله بعبد شرّاً جعل فقره بين عينيه»[١].

وعن عمر بن الخطاب ﵁ قال: أجود الناس من جاد على من لا يرجو ثوابه، وإن أحلم الناس من عفا بعد القدرة، وإن أبخل الناس الذي يبخل بالسلام، وإن أعجز الناس الذي يعجز في دعاء الله[٢].

وفي المزهر في علوم اللغة[٣]:

قال حدثنا أبو حاتم قال: حدثني أبو عبيدة: قال: حدثني غيرُ واحد من هَوَازن من أولي العلم، وبعضهم قد أدرك أبوه الجاهلية أو جدّه قال: اجتمع عامر بن الظَّرب العَدْواني، وحُمَمَة بن رافع الدَّوْسي عند ملك من ملوك حِمْير، فقال: تساءلا حتى أسمع ما تقولان، فقال عامر لحُمَمَة: أين تحب أن تكون أياديك قال: عند ذي الرَّثْيَة العَديم، وذي الخَلَّة الكريم، والمُعْسر الغَريم، والمُسْتَضْعَف الهَضيم، قال: من أحقُّ الناس بالمَقْت؟ قال: الفقير المُخْتال، والضعيف الصَّوال، والعيَيّ القَوَّال.

قال: فمن أحقّ الناس بالمَنْع؟ قال: الحريص الكاند، والمسْتَميد الحاسد، والمُلْحف الواجد.

قال: فَمَنْ أجدر الناس بالصَّنيعة؟ قال: من إذا أُعْطِيَ شكر، وإذا مُنعَ عذر، وإذا مُوطل صَبَر، وإذا قَدُم العهد ذَكَر.

قال: مَنْ أكرم الناس عِشْرة؟ قال: مَنْ إن قَرُب منح، وإن بَعُد مَدَح، وإن ظُلم صَفَح، وإن ضُويقَ سَمح

---

(١) أخرجه ابن حبان، والخرائطي، والديلمي، وابن عساكر، وحسنه الألباني في الصحيحة برقم(٣٣٥٠).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٤ / ٢٨).
(٣) المزهر في علوم اللغة (٢ / ٤٣٣).

قال: من أَلأَمُ الناس؟ قال: من إذا سأَل خَضَع، وإذا سُئل مَنَع، وإذا مَلك كنع، ظاهره جَشَع، وباطنه طَبَع.

قال: فَمنْ أَحْلَم الناس؟ قال: مَنْ عَفَا إذا قَدَرَ، وأَجْمَل إذا انتصر، ولم تُطْغه عزة الظَّفَر.

قال: فمن أحزمُ الناس؟ قال: مَنْ أخذ رقاب الأمور بيديه، وجعل العواقب نَصْب عينيه، ونبذ التَّهيب دَبْر أذنيْه.

قال: فمن أَخْرَق الناس؟ قال: من ركب الخطَار، واعْتَسَف العثار، وأَسْرع في البدار قبل الاقتدار.

قال: فمن أجود الناس؟ قال: مَنْ بَذلَ المجهود، ولم يأْسَ على المفقود.

قال: مَنْ أَبْلَغُ الناس؟ قال: مَنْ جَلاَ المعنى المَزير باللَّفظ الوجيز، وطَبَّق المفْصل قبل التَّحْزيز[(١)].

الحلم عن السفيه سرور وراحة

عن أبي جعفر الخطمي: أن جده عمير -وكانت له صحبة- أوصى بنيه فقال: إياكم ومجالسة السفهاء؛ فإن مجالستهم دناءة، من يحلم على السفيه يسر بحلمه، ومن يجبه يندم، ومن يصبر على ما يكره يدرك ما يحب، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فليوطن نفسه على الصبر على الأذى، ويثق بالثواب من الله؛ فإن من وثق بالثواب لم يجد مس الأذى.

ولعبيد بن أبي الحليل:

وإني لأتـــرك عـــور الكـــلا ... م لـــئلا أجـــاب بـــها أكـــره

وأغضـــي عـــلى الكلـــم المحفظـــا ... ت وأحلـــم والحلـــم بي أشـــبه

---

(١) انظر الحلم (١ / ٣٠).

فـــلا تغـــترر بـــرواء الرجـــا ل ومـــا زخرفـــوا لـــك أو موهـــوا

فكــم مــن فتــى يعجــب الناظريــ ــــن لــه ألســـن ولـــه أوجـــه

ينــــام إذا حضــــــر المكرمـــــا ت وعنـــد الـــدناءة يســـتنبه[١]

حلمي أصم

قال الشاعر:

قل مـا بـدا لـك مـن زورٍ ومـن كـذبٍ حلمــي أصــم وأذني غــير صــماء[٢]

من الحلم النظر إلى حال المحلوم عنه

وقال الأحنف بن قيس: ما نازعني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال: إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان دوني كَرَّمْت نفسي عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه.

وقد أخذ هذا المعنى محمود الوَرَّاق فقال:

سَأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّبْرَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ وَإِنْ كَثُــرَتْ مِنْــهُ عَــلَيَّ الجَــرَائِمُ

وَمَــا النَّــاسُ إِلَّا وَاحِــدٌ مِــنْ ثَلَاثَــةٍ شَرِيــفٌ وَمَشْــرُوفٌ وَمِثْــلٌ مُقَــاوِمُ

فَأَمَّــا الَّــذِي فَــوْقِي فَــأَعْرِفُ فَضْــلَهُ وَأَلْــزَمُ فِيــهِ الحَــقَّ وَالحَــقُّ لَازِمُ

وَأَمَّا الَّـذِي دُونِي فَـإِنْ قَـالَ صُـنْت عَـنْ إِجَابَتِــهِ عِــرْضِي وَإِنْ لَامَ لَائِــمُ

وَأَمَّـا الَّـذِي مِـثْلِي فَـإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَـا تَفَضَّـلْت إِنَّ الْفَضْـلَ بِـالْعِزِّ حَـاكِمُ[٣]

الحلم زين العلم والعقل

قال الشعبي: زَيَّنَ العلم حلم أهله.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما قُرِن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم، ومن

---

(١) انظر الحلم (١/ ٣١).
(٢) انظر عيون الأخبار (١/ ١٢٠).
(٣) انظر الآداب الشرعية (٢/ ٣١٦).

عفو إلى قدرة.

عن حبيب بن حجر قال: كان يقال: ما أحسن الإيمان يزينه العلم! وأحسن العلم يزينه العمل! وأحسن العمل يزينه الرفق! وما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم.

وعن رجاء بن أبي سلمة قال: الحلم أرفع من العقل؛ لأن الله تعالى تسمى به.

قال أكثم بن صيفي: دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر، وخير الأمور العفو[(١)].

قال بعض الحكماء: زين المرء الإسلام، وزين الإسلام العقل، وزين العقل الحلم، وزين الحلم الكظم، وزين الكظم التدبر، و التفكر، وزين التدبر والتصبر، وزين التصبر الوقوف عند الطاعة والمعصية[(٢)].

حلم الحليم ذل للسفيه

عن رجل من آل جعونة، قال: شتمت فلانا لرجل من أهل البصرة، فحلم عني فاستعبدوني بها زمانا[(٣)].

وقيل: اجعل الحلم عدة للسفيه، وجنة من ابتهاج الحاسد، فإنك لم تقابل سفيهاً بالإعراض عنه والاستخفاف بعقله إلا أذللته في نفسه، وسلطت عليه الانتصار من غيرك، وإذا كافأته بمثل ما أتى وزنت قدرك بقدره، ولم تنصر عليه.

الحلم يُكسِب المودة ويزرع الألفة

قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المؤمنون:٩٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا

---

(١) انظر الحلم (١ / ٢٩).
(٢) انظر الحلم (١ / ٦٢).
(٣) انظر الحلم (١ / ٣٨).

﴿يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون:٩٦]، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك، وبعفوك عمن أساء إليك إساءة المسيء، وبصبرك عليهم مكروه ما تجد منهم، ويلقاك من قبلهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون:٩٦]، قال: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم، كأنه ولي حميم.

وقال آخرون: معنى ذلك: ادفع بالسلام على من أساء إليك إساءته(١).

قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾

وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى، فسبكه في بيتين فيهما جناس فقال:

خُذ العفو وأمر بعُرفٍ كَمَا ... أُمِرتَ وأعْرض عن الجَاهلينْ

وَلِنْ في الكَلام لكُلِّ الأنام ... فَمُسْتَحْسَن من ذَوِي الجاه لين

وقال بعض العلماء: الناس رجلان: فرجل محسن، فخذ ما عفا لك من إحسانه، ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه. وإما مسيء، فمره بالمعروف، فإن تمادى على ضلاله، واستعصى عليك، واستمر في جهله، فأعرض عنه، فلعل ذلك أن يرد كيده، كما قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ [المؤمنون:٩٦-٩٨](٢).

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٠/ ٤٣٢).
(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٢).

الحلم صبر ساعة

كان الأحنف إذا عجبوا من حلمه قال: إني لأجد ما تجدون ولكني صبور[(١)] .

عن سليمان بن حرب أخبرنا حماد بن زيد قال: قال أيوب: حلم ساعة يدفع شر سنة[(٢)] .

وقيل: الحلم حجاب الآفات، وإن حلم ساعة يرد سبعين آفة.

الحلم عند الغضب

كان يقال: انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه، وما علمك بحلمه إذا لم يغضب؟ وما علمك بأمانته إذا لم يطمع؟.

وقال معاوية: يغلب الملك حتى يركب بالحلم عند سورته، والإصغاء إلى حديثه[(٣)] .

الحلم والحزم

الحلم لا يعارض الأخذ بالحزم، شَأْنُه شأن الفضائل؛ حيث يأخذ بعضها ببعض، وتتلاقى؛ لتتعاون على البر والتقوى؛ فإذا كان الحلم سكونَ النفس، وعدمَ تهيُّجها للمكروه الذي يكفي في دفعه الصفح عنه فإن من الحزم الغضبَ للأذى الذي يصدر عن لؤم، ويتمادى ولو مع الإغضاء عنه.

وقال الحسين بن عبد الصمد يمدح بعض الأمراء:

عجبوا لحلمك أن تحوَّل سطوةً ... وزُلالِ خُلْقِكَ كيف عاد مكدرا

لا تعجبوا من رِقَّةٍ وقساوة ... فالنار تُقْدَحُ من قضيب أخضرا

ولو قيل: من الحليم بحق؟ لقيل: هو من بلغ أن تكون قوة حلمه منقادة للعقل، جارية على مقتضى العلم، فهو الحليم بحق[(٤)] .

---

(١) انظر الآداب الشرعية (٢/ ٣١٤).
(٢) انظر بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب (٢/ ٥٥).
(٣) انظر التذكرة الحمدونية (١/ ١٧٩).
(٤) انظر رسائل في أبواب متفرقة (١/ ١٨).

هل من شروط الحلم أن يفقد الإنسان الغضب جملة؟

ليس من شرط الحلم أن يفقد الرجل قوة الغضب، وإنما شرط الحلم أن لا يطغى الغضب حتى يدفع الرجل إلى الانتقام، أو يمنعه من الصفح حيث يكون الصفح أولى به.

فالحليم قد يأخذه الغضب لجهل جاهل عليه، لكن يكظم غيظه حتى لا يكون له أثر في غير نفسه، ومن أحكم ما قالته العرب:

ولربما ابتسم الكريم من الأذى — وفؤاده من حَرِّهِ يتأوه

وخلاصة القول: أن الحلم يحتاج إليه عميد الأسرة في منزله، والتاجر في محل تجارته، والعالم في مجلس دراسته، والمعلم داخل فصله ومع طلابه، والقاضي في مقطع أحكامه، والرئيس الأعلى في سياسة رعيته.

بل يحتاج إليه كل إنسان ما دام الإنسان مدنيًّا بالطبع، ولا يمكنه أن يعتزل الناس جملة، ويعيش في وحدة مطلقة.

ولئن كانت الحاجة إلى الحلم ماسّة في كل وقت، فإنها في هذا الزمان أشدُّ مسيساً؛ لكثرة ضغوط الحياة، وقلة احتمال كثير من الناس لأتفه الأمور[(١)].

الحلم بالتثبت

قال الشعبي: أول إشارات العفو التثبت.

وقال أبو حازم: التأني في العقوبة طرف من العفو[(٢)].

الصبر على الحلم والعفو أهون من الصبر على العقوبة

وقال جعفر بن محمد: لأن أندم على العفو أحب إلي من أن أندم على العقوبة[(٣)].

---

(١) انظر رسائل في أبواب متفرقة (١ / ١٨).
(٢) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٥).
(٣) انظر الجوهر النفيس في سياسة الرئيس (١ / ١٣٩).

وقال أبو العتاهية:

فَيَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْك حِلْمًا فَإِنَّنِي ... أَرَى الْحِلْمَ لَمْ يَنْدَمْ عَلَيْهِ حَلِيمُ

وَيَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْك عَزْمًا عَلَى التُّقَى ... أُقِيمُ بِهِ مَا عِشْت حَيْثُ أُقِيمُ

أَلَا إنَّ تَقْوَى الله أَكْرَمُ نِسْبَةً ... تَسَامَى بِهَا عِنْدَ الْفَخَارِ كَرِيمُ

وقال آخر:

أَرَى الْحِلْمَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ ذِلَّةً ... وَفِي بَعْضِهَا عِزًّا يُسَوَّدُ فَاعِلُهْ

وقال آخر:

وَإِنَّك تَلْقَى صَاحِبَ الجَهْلِ نَادِمًا ... عَلَيْهِ وَلَا يَأْسَى عَلَى الْحِلْمِ صَاحِبُهْ[(١)]

الحلم له مواطن

قاتل الأحنف في بعض المواطن قتالاً شديداً، فقال له رجل: يا أبا بحر، أين الحلم؟

قال: عند الحبى.

قال الشاعر:

أَرَى الْحِلْمَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ ذِلَّةً ... وَفِي بَعْضِهَا عِزًّا يُسَوَّدُ فَاعِلُهْ[(٢)]

وقال الآخر:

حليم إذا ما الحلم زين أهله ... مع الحلم في عين الرجال مهيب

يعني أنه حليم في الموضع الذي يحمد فيه الحلم ويحسن، فإنه في بعض المواضع مذموم، كما قال نابغة بني جعدة:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

وقال آخر:

(١) انظر الآداب الشرعية (٢/ ٣١٤).
(٢) انظر الآداب الشرعية (٢/ ٣١٤).

أحلامنــــا تــــزن الجبــــال رزانــــة ... ويزيــــد جاهلنــــا عــــلى الجهــــال

وقال أبو الطيب:

إذا قيـل مهـلا! قـال للحلـم موضـع ... وحلم الفتـى في غـير موضـعه جهـل[١]

قال محمد بن وهيب:

لـئن كنـت محتاجـاً إلى الحلـم إنننـي ... إلى الجهـل في بعـض الأحـايين أحـوج

ولى فـرس للحلـم بـالحلم ملجـم ... ولي فـرس للجهـل بالجهـل مسـرج

فمـن رام تقـويمي فـإني مقـوَّم ... ومـن رام تعـويجي فـإني مُعَـوَّج

ومـا كنـت أرضى الجهـل خـدنا وصـاحبا ... ولكنننـي أرضى بـه حـين أحـرج

ألا ربـما ضـاق الفضـاء بأهلـه ... وأمكـن مـن بـين الأسـنة مخـرج

وإن قـال بعـض النـاس فيـه سـماجة ... فقـد صـدقوا، والـذل بـالحر أسـمج

وقال سالم بن وابصة الأسدي:

أرى الحلـم في بعـض المـواطن ذلـة ... وفي بعضـها عـزا يشـرف فاعلـه

إذا أنـت لم تـدفع بحلمـك جـاهلا ... سـفيها ولم تقـرن بـه مـن تجاهلـه

لبسـت لـه ثـوب المذلـة صـاغرا ... وأصـبحت قـد أودى بحقـك باطلـه

تخلـق عـلى جهـال قومـك إنـه ... لكـل حلـيم مـوطن هـو جاهلـه[٢]

الحليم ينظر في العواقب ويجتنب الأوابد

أغلظ رجل للمهلب فحلم عنه، فقيل له جهل عليك وتحلم عنه؟! فقال: لم أعرف مساوئه فكرهت أن أبهته بما ليس فيه[٣].

فالحليم لا يعجز عن الرد، ولكن يعجز عن الظلم، وتحمل السفيه ذنوبه أهون من

(١) انظر سمط اللآلي (١/ ٢٢٢).
(٢) انظر الحلم (١/ ٦٥).
(٣) انظر التذكرة الحمدونية (١/ ٣٣٧).

تحمله ذنوب السفيه.

الحلماء عمار الأرض

قال يحيى بن يحيى الليثي: لولا الحلماء ما عمرت الدنيا[(١)].

الحليم يرى ذنوبه سبباً لتسلط السفهاء عليه

استطال رجلٌ على أبي معاوية الأسود فقال: أستغفر اللهّ من الذنب الذي سلطت به عليّ[(٢)].

وأغلظ رجل لوكيع بن الجراح، فدخل وكيع بيتاً، فعفر وجهه بالتراب، ثم خرج إلى الرجل فقال: زد وكيعاً بذنبه فلولاه ما سلطت عليه[(٣)].

الحليم يرى الحلم أثقل وزناً من الذنب

قال معاوية رضي الله عنه: إني لأرفع نفسي أن يكون ذنبٌ أوزن من حلمي[(٤)].

الحلم عن القاتل يجعله يبوء بإثمه وإثم المقتول

عن وائل بن حُجْر رضي الله عنه قال كنت عند النبي ﷺ إذ جِيءَ برجل قاتل في عنقه النِّسْعَة، قال: فدعا ولِيَّ المقتول، فقال: «**أتعفو**»؟. قال: لا. قال: «**أفتأخذ الدية**». قال: لا. قال: «**أفتقتل**». قال: نعم. قال: «**اذهب به**». فلما ولى قال: «**أتعفو**». قال: لا. قال «**أفتأخذ الدية**». قال: لا. قال: «**أفتقتل**». قال: نعم. قال: «**اذهب به**». فلما كان فى الرابعة قال: «**أما إنك إن عفوت عنه يَبُوء بإثمه وإثم صاحبه**». قال: فعفا عنه. قال: فأنا رأيته يجرُّ النِّسْعَةَ[(٥)].

(١) انظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١ / ٢٠١).
(٢) انظر عيون الأخبار (١ / ١٢٠).
(٣) انظر تاريخ بغداد (١٣ / ٥٠٣).
(٤) انظر مختصر تاريخ دمشق (٧ / ٣٤٣).
(٥) رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٤٤٠٥).

من محامل الحلم الحياء

وذكر عن زيد بن وهب قال: وجد رجل مع امرأته رجلا فقتلهما بالسيف فاستحيا بعض إخوتها مما فعلت فعفا عنه، فجعل عمر ﷺ للذي لم يعف حصته من الدية(١).

الحلم عن القاتل إحياء نفس

قال الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة:٢٣]، قال ابن زيد في قوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ يقول: من أحياها أعطاه الله جل وعز من الأجر مثل لو أنه أحيا الناس جميعا.إذا أحياها فلم يقتلها وعفا عنها. قال: وذلك وليُّ القتيل، والقتيل نفسه يعفو عنه قبل أن يموت. قال: كانَ أَبِي يقول ذلك.

وعن الحسن ، في قوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ قال: من عفا.

وعنه: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ قال: من قُتِلَ حَمِيمٌ له فعفا عن دمه.

وعنه: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة:٢٣] قال: العفو بعد القدرة.

الحلماء ربانيون

جاء عن ابن عباس ﷺ وسعيد بن جبير، وأبي رزين في قوله تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٧٩] قالوا: حلماء علماء(٢).

أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة

كان معاوية يقول: إن أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وإن أنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه.

وقد قال المنصور لابنه المهدي: إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا

(١) انظر المبسوط للسرخسي (٢٩ / ٤٠١).
(٢) انظر الدر المنثور، وتفسير مجاهد، والطبري عند هذه الآية.

يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه.

وقال أيضا: يا بني استدم النعمة بالشكر، والقدرة بالعفو، والطاعة بالتأليف، والنصر بالتواضع والرحمة للناس، ولا تنس نصيبك من الدنيا ونصيبك من رحمة الله[1].

الحلماء إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما

وأخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق عن الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣] قال: بالسكينة والوقار ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان:٦٣] قال: إن جهل عليه حلم وإن أسيء إليه أحسن وإن حرم أعطى وإن قطع وصل[2].

وجاء عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان:٦٣] قال: حلماء وإن جهل عليهم لم يجهلوا.

الحليم ذو رأي سديد وقلب شجاع

قال معاوية: لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم.

وقال معاوية لعمرو بن الأهتم: أي الرجال أشجع؟ قال: من رد جهله بحلمه. قال: أي الرجال أسمى؟ قال: من بذل دنياه في صلاح دينه[3].

السكوت عن السفيه حلم وجواب

قال الأعمش: السكوت جواب.

وأنشد رجل مسعر بن كدام:

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء (١ / ٢٢٩).
(٢) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (١١ / ٢٠٥).
(٣) انظر الحلم (١ / ٢٧).

لا تـــرجعن إلى الســـفيه خطابــه — إلا جـــواب تحيـــة حياكهـــا
فمتـــى تحركـــه تحـــرك جيفـــة — تـــزداد نتنـــا إن أردت حراكهـــا

وعن عبادة بن كلب قال: أتاني المؤمل الشاعر، فقال: قد علمت أنك لا تروي لي شيئا ولكن أسمع هذه الليلة الأبيات:

إذا نطـــق الســـفيه فـــلا تجبـــه — فخـــير مـــن إجابتـــه الســـكوت
لئـــيم القـــوم يشـــتمني ليحظـــى — ولـــو دمـــه ســـفكت لمـــا حظيـــت
فلســـت مشـــابها أبـــدا لئـــيما — خزيـــت لمـــن يشـــاتمه خزيـــت

وقال محمد بن زياد الحارثي:

تخـــالهم للحلـــم صـــما عـــن الخنـــا — وخرسا عـن الفحشـاء عنـد التهـاجر
ومـــرضى إذا لاقـــوا حيـــاء وعفـــة — وعنـــد الحفـــاظ كـــالليوث الخـــوادر
لهـــم ذل انصـــاف ولـــين تواضـــع — بـــذلهم ذلـــت رقـــاب المعـــاشر
كـــأن بهـــم وصـــما يخـــافون عـــاره — ومـــا وصـــمهم إلا اتقـــاء المعـــاير

وقال محمود الوراق:

رجعـت عـلى السـفيه بفضـل حلـم — وكـــان الفعـــل عنـــه لـــه لجامـــا
وظـــن بي الســـفاه فلـــم يجـــدني — أســـافهه وقلـــت لـــه ســـلاما
فقـــام يجـــر رجليـــه ذلـــيلا — وقـــد كســـب المذمـــة والملامـــا
وفضـــل الحلـــم أبلـــغ في ســـفيه — وأحـــرى أن ينـــال بـــه انتقامـــا

وقال كسرى لوزيره: من الحليم؟ قال: الذي يصلح السفيه[1].

الحلم أنصر لي من الرجال

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حلمك على السفيه يكثر أنصارك عليه[1].

---

(١) انظر الحلم لابن أبي الدنيا (١ / ٣٤).

قال الأحنف: أصبت الحلم أنصر لي من الرجال.

وأنشد الرياشي:

إني امــرؤ يــذب عــن حريمــي   حلمــي وتركــي اللــوم للئــيم

والعلـــم أحمـــى من يـد الظـــلوم(٢)

الحلم يدفع ما هو أعظم

وقال الأحنف: رب غيظ تجرَّعْتُهُ مخافة ما هو أشر منه(٣).

ذل الحلم خير من ذل الاعتذار

كان يقال: إياك وعزة الغضب فإنها مصيرك إلى ذل الاعتذار(٤).

ادفع بالتي هي أحسن

قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المؤمنون:٩٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

قال الطبري في تفسيرها: ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك، وبعفوك عمن أساء إليك إساءة المسيء، وبصبرك عليهم مكروه ما تجد منهم، ويلقاك مِنْ قِبَلِهِم.

وعن ابن عباس ﷺ قال: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم، كأنه

---

(١) انظر رسائل في أبواب متفرقة (١ / ٢١).
(٢) انظر عيون الأخبار (١ / ١٢١).
(٣) انظر جمهرة خطب العرب (٢ / ٣٦١).
(٤) انظر عيون الأخبار (١ / ١٢٣).

ولي حميم.

وعن الحسن، في قوله: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون:٩٦] قال: والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا، ويصفح عما يكره.

وقال السيوطي الدر المنثور: وعن قتادة في الآية قال: نعمت والله الجرعة تتجرعها وأنت مظلوم فمن استطاع أن يغلب الشر بالخير فليفعل ولا قوة إلا بالله.

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية عن أنس في قوله تعالى ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون:٩٦] قال: قول الرجل لأخيه ما ليس فيه، يقول: إن كنت كاذبا فأنا أسأل الله أن يغفر لك وان كنت صادقا فأنا أسأل الله أن يغفر لي.

وأخرج البخاري في الأدب عن أبي هريرة ﷺ قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعون وأحسن إليهم ويسيئون إلي ويجهلون علي واحلم عنهم، قال: «**لئن كان كما تقول كأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**».

قال أبو حاتم: الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة؛ إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان، ولا سبب لنماء الإساءة، وتهييجها أشد من الاستعمال بمثلها(١).

مقدار الحلم في اليوم

عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام فصمت، فلما كان في الثالثة قال: «**اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة**»(٢).

(١) انظر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١ / ١٦٦).
(٢) أخرجه الترمذي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٨٨).

قال أبو حاتم: الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود الإساءة عليه من العالم بأسرهم؛ رجاء عفو الله جل وعلا عن جناياته التي ارتكبها في سالف أيامه؛ لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء، وصاحب العقاب وإن انتقم كان إلى الندم أقرب، فأما من له أخ يوده فإنه يحتمل عنه الدهر كله زلاته[(١)].

وقال الفضيل بن عياض: احتمل لأخيك إلى سبعين زلة، قيل له وكيف ذلك يا أبا علي؟ قال: لأن الأخ الذي آخيته في الله ليس يزل سبعين زلة.

وقال علي بن محمد البسامي:

إذا لم تجاوز عن أخ لك عثرة ... فلست غدا من عثرتي متجاوزا

وكيف يرجيك البعيد لنفعه ... إذا كان عن مولاك برك عاجزا[(٢)]

الحلم خير من المال والولد

قال أبو الدرداء: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يعظم حلمك، ويكثر علمك وأن تنادي الناس في عبادة الله، فإذا أحسنت حمدت الله وإذا أسأت استغفرت الله[(٣)].

الحليم من عفا عند القدرة

ليس الحليم من ظلم فحلم، حتى إذا قدر اقتص، إنما الحليم من إذا قدر عفا، وترك المكافآت قولاً وفعلاً.

الحلم يزيل تعدي الحر، ويرده إلى أحسن مراجعة. ولا يزيل الوعد إلا الإخافة.

الحلم لا ينسب إلا لمن قدر على السطوة.

من غرس الحلم شجراً، أو سقاه الأناة درراً، اجتنى العز منه ثمراً، وأثبت في

---

(١) انظر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١ / ١٦٨).
(٢) انظر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١ / ١٦٨).
(٣)انظر الحلم (١ / ٥٣).

المكارم أثراً.

أحلم الناس من قدر على الكلام، وهو كثير في صمته، وقدر على العقوبة، وهو كثير وقاره[(١)].

أنشد أبو سعيد المدني في العفو بعد القدرة:

أَسَدٌ عَلَى أَعْدَائِهِ مَا أَنْ يَلِينَ وَلا يَهُونَ ... فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُمُ فَهُنَاكَ أَحْلَمُ مَا يَكُونُ[(٢)]

إنما الذليل الظالم

وقال رجل لجعفر بن محمد: إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر، وإني أريد أن أتركه، فأخشى أن يقال لي: إن تركك له ذل، فقال: جعفر إنما الذليل الظالم[(٣)].

أجلّ الناس مرتبة من صد الجهل بالحلم

قال أبو حاتم: أغنى الناس عن الحقد من عظم عن المجازاة، وأجل الناس مرتبة من صد الجهل بالحلم وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء إليه، فأما مجازاة الإحسان إحسانا فهو المساواة في الأخلاق، فلربما استعملها البهائم في الأوقات، ولو لم يكن في الصفح، وترك الإساءة خصلة تحمد إلا راحة النفس ووداع القلب لكان الواجب على العاقل أن لا يكدر وقته بالدخول في أخلاق البهائم بالمجازاة على الإساءة إساءة ومن جازى بالإساءة إساءة فهو المسيء وإن لم يكن بادئا.

كما أنشدني الكريزي:

أسأت وأنكرت أني أسأت ... فأفضل ولا تك عين المسي

لك الفضل بالعفو عما عفوت ... وإلا فأنت القرين السوى

---

(١) انظر الحلم (١ / ٥٤).
(٢) انظر المجالسة وجواهر العلم (٦ / ١٧٢).
(٣) انظر إحياء علوم الدين (٣ / ١٧٩).

وعفــــــوك مقتـــــــدرا نعمــــــة   وعفـــو المنـــدد غـــير الهنـــي[١]

حكمة مجوسي في الحلم

عن يوسف بن حبيب قال: لاحى رجل من المسلمين مجوسيا، فسفه عليه، فقال له المجوسي: إن الحليم ليقصر لسانه عندما يتذكر من احتراق الدود منه. قال فأبكى والله من حضر[٢].

الحلم لباس العلم

عن عمرو بن الحارث أن رجلا كتب إلى أخ له: إن الحلم لباس العلم فلا تعرين منه[٣].

سفيه الحليم يدفع عنه

قال أبو جعفر الكرشي: أصبح فئة من بني تميم يتصارعون، والأحنف ينظر إليهم، فقالت عجوز من الحي: ما حَكَمَكم أقل الله عدوكم، قال: مه، ولم تقولين ذاك؟ لولا هؤلاء لكنا سفهاء. أي أنهم يدفعون السفه عنا[٤].

عن سعيد بن عبد العزيز: أن رجلا استطال على سليمان بن موسى، فانتصر له أخوه، فقال مكحول: ذل من لا سفيه له[٥].

لذة العفو أطيب من لذة التشفي

وقال المنتصر: لذة العفو أطيب من لذة التشفي؛ لأن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة، وإن لذة التشفي يلحقها ذم الندم[٦].

قال أنوشروان: وجدنا للعفو من اللذة ما لم نجده للعقوبة.

---

(١) انظر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١ / ١٦٩).
(٢) انظر الحلم (١ / ٥٧).
(٣) انظر الحلم (١ / ٥٩).
(٤) انظر الحلم (١ / ٧٤).
(٥) انظر الحلم (١ / ٦٦).
(٦) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٣).

وقال أكثم بن صيفي: الصبر على جرع الحلم أعذب من جني ثمر الندم[(١)].

الحلم هو الصفح الجميل

قال تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ۝٨٥﴾ [الحجر:٨٥].

وهو الصفح الذي لا أذية فيه بل يقابل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبه بالغفران، لتنال من ربك جزيل الأجر والثواب، فإن كل ما هو آت فهو قريب، وقد ظهر لي معنى أحسن مما ذكرت هنا.

وهو: أن المأمور به هو الصفح الجميل أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، دون الصفح الذي ليس بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى.انتهى[(٢)]

وقال ابن المعتز: لا تشن وجه العفو بالتقريع.

وقيل: ما عفا عن الذنب من قرع عليه.

قال كثير:

حليم إذا ما نال عاقب مجملاً ... أشد العقاب أو عفا لم يثرب

فعفواً أمير المؤمنين وحسبة ... فما تحتسب من صالح لك يكتب

أساءوا فإن تغفر فإنك أهله ... وأفضل حلم حسبة حلم مغضب[(٣)]

النذر في الحلم

قال هلال بن العلاء الباهلي: جعلت على نفسي منذ أكثر من عشرين سنة أن لا

(١) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٨).
(٢) انظر تفسير السعدي (١ / ٤٣٤).
(٣) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٣).

أكافئ أحدا بسوء وذهبت إلى هذه الأبيات:

لما عفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت قلبي من غم العداوات
إني أحيي عدوي عند رؤيته ... لأدفع الشر عني بالتحيات
وأظهر البشر للأنسان أبغضه ... كأنما قد حشى قلبي محبات

ندور الحلماء

عن الأصمعي قال: يجتمع عشرة آلاف فيهم -يعني- ألف مقاتل أو أكثر، ويجتمع ألف ليس فيهم حليم[(١)].

حلم أبي بكر الصديق وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما

عن سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك: ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا، وكلهم حدثني طائفةً مِن حديثها، وبعضهم كان أَوْعَى لحديثها من بعض، وأثبتَ اقتصاصا، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني، وبعض حديثهم يصدق بعضا ذكروا: أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي، وأنزل فيه مسيرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل، ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عقدي مِن جَزْعِ ظَفَارِ قد انقطع،

---

(١) انظر عيون الأخبار (١ / ١٢٢). والمجالسة وجواهر العلم (٨ / ٣٣).

فرجعت، فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحَلُون لي، فحملوا هودجي، فرحلوه على بعيري، الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه – قالت– وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يُهَبَّلْنَ، ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه، ورفعوه، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعد ما استمَرَّ الجيش، فجئت منازلهم وليس بها دَاعٍ، ولا مجيب فتيممت منزلى الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني، فيرجعون إلَيَّ، فبينا أنا جالسة فى منزلي غلبتني عيني، فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي، ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش، فادَّلَج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فأتاني، فعرفني، حين رآني، وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمَّرت وجهي بجلبابي ووالله ما يكلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته، فوطئ على يدها، فركبتها، فانطلق يقود بي، الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغِرِين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره: عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يَرِيبُنِي في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: «**كيف تيكم؟**». فذاك يريبني، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقِهْتُ، وخرجت معي أم مسطح قبل المَنَاصِعِ، وهو متبرَّزنا، ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، وهى بنت أبى رُهْم

بن المطلب بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وبنت أبى رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا.

قالت: أى هنتاه أولم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضا إلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي، فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: «**كيف تيكم؟**». قلت: أتأذن لي أن آتى أبوي؟ قالت وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما. فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ فقالت: يا بنية هوني عليك فو الله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كثرن عليها - قالت- قلت: سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت، لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبى طالب، وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله –قالت– فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا. وأما على بن أبى طالب، فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك –قالت– فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: «**أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟**». قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتى الداجن فتأكله – قالت– فقام رسول الله ﷺ على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبى ابن سلول – قالت– فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «**يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي**



فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي». فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك – قالت– فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا، ولكن اجتهلته الحمية فقال: لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله. فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت – قالت– وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان عندي، وأنا أبكي استأذنت على امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي – قالت– فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس – قالت– ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه، في شأني بشيء – قالت– فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال «**أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه**». قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي: أجب عنى رسول الله ﷺ فيما قال. فقال: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي أجيبي عنى رسول الله ﷺ فقالت: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن: إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فإن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أنى بريئة؛

لتصدقونني وإني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي - قالت- وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل فى شأني وحي يتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله ﷻ في بأمر يتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشات من ثقل القول الذي أنزل عليه - قالت- فلما سري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: «**أبشرى يا عائشة أما الله فقد برأك**». فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي - قالت- فأنزل الله ﷻ: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ**﴾ [النور:١١] عشر آيات فأنزل الله ﷻ هؤلاء الآيات براءتي - قالت - فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة. فأنزل الله ﷻ: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ**﴾ إلى قوله: ﴿**أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ**﴾ [النور:٢٢]-قال حبان بن موسى قال عبد الله بن المبارك هذه أرجى آية في كتاب الله- فقال أبو بكر والله إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبدا. قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري «**ما علمت أو ما رأيت؟**». فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا. قالت عائشة وهى التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها، فهلكت فيمن هلك[1].

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٧٥٠)ومسلم برقم (٧١٩٦).

[قلت]: انظر إلى حلم النبي ﷺ وصبره على ما قيل في أهله، وانظر في حلم أبي بكر وكذا حلم الحصان الرزان الطاهرة المطهرة العفيفة عائشة رضي الله عنها.

وقال رجل لأبي بكر رضي الله عنه: والله لأسبنَك سبًّا، يدخل معك في قبرك، فقال معك يدخل لا معي[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن خادما لها غاظها، فقالت: لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء[(٢)].

وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال: ما ستر الله عنك أكثر، فكأنه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته، ويعرفه حق معرفته، فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان؛ إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره[(٣)].

من حلم صفية أم المؤمنين رضي الله عنها

قال ابن عبد البر: روينا أن جارية لصفية أتت عمر، فقالت: إن صفية تحب السبت وتصل اليهود، فبعث إليها عمر فسألها فقالت: أما السبت فلم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً، فأنا أصلها، ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان، قالت: فاذهبي فأنت حرة[(٤)].

من حلم عمر الفاروق رضي الله عنه

عن ابن عباس قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس -وكان من النفر الذين يدنيهم عمر- وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته -كُهولا كانوا أو شبابا- فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند

---

(١) انظر أبو بكر الصديق – محمد رشيد رضا – (١ / ١٩٤).
(٢) انظر البحر المحيط (٣ / ٣٤٧).
(٣) انظر إحياء علوم الدين (٣ / ١٧١).
(٤) انظر تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٤ / ٦٨).

هذا الأمير، فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر ﷺ فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩] وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وَقَّافًا عند كتاب الله، عز وجل[1].

وروى أنه لما حبس عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة في هجوه للناس كتب إليه:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرح ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الذي قام فيهم بعد صاحبه ... ألقت إليك مقاليد النهى البشر

ما آثروك بها إذ قدموك لها ... لكن لأنفسهم قد كانت الإثر

فأطلقه وشرط عليه أن يكف لسانه فقال له إذ منعتني التكسب بلساني فاكتب لي إلى علقمة بن وقاص بن علاقة العامري، فامتنع عمر فقيل له: يا أمير المؤمنين ما عليك في ذلك، فاكتب له فإنه ليس من عمالك وقد تشفع بك إليه، فكتب ورحل إليه، فصادف الناس منصرفين من جنازته وولده واقف على قبره فأنشد الحطيئة:

لعمري لنعم المرء من آل جعفر ... بحوران أمسى علقته الحبائل

فإن تحيَ لا أملك حياتي وإن تمت ... فما في حياتي بعد موتك طائل

وما كان بيني لو لقيتك سالما ... وبين الغنى إلا ليال قلائل

فقال له ابنه: كم ظننت أنه كان يعطيك، فقال مائة ناقة يتبعها مائة، فأعطاه إياها

---

(١) رواه البخاري (٤٦٤٢).

سنة ثلاث وثمانين ومائة[١].

من درر عمر في الحلم

قال عمر بن الخطاب ﷺ: ثلاث خصال من لم يكن فيه لم ينفعه الإيمان، حلم يرد به جهل الجاهل، وورع يحجزه عن المحارم، وخلق يداري به الناس[٢].

وقال عمر بن الخطاب: من خاف اللهّ لم يشف غيظه، ومن اتقِ اللهّ لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون[٣].

فائدة جليلة

قال عمر بن الخطاب: من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه قل خيره، ومن كثر أكله لم يجد لذكر الله لذة، ومن كثر نومه لم يجد في عمره بركة، ومن كثر كلامه في الناس سقط حقه عند الله، وخرج من الدنيا على غير الاستقامة[٤].

وصية لقمان لابنه

قال تعالى عن لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان:١٧-١٩].

قال الماوردي في النكت والعيون[٥]: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾.

---

(١) انظر شذرات الذهب (١ / ٣٠٢).
(٢) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٢).
(٣) أحكام القرآن للجصاص (٢ / ٣٢٥).
(٤) انظر الحلم (١ / ٧٧).
(٥) النكت والعيون (٤ / ٣٣٩).

وفي معنى الآية خمسة أوجه:

أحدها: أنه إعراض الوجه عن الناس تكبراً، قاله ابن جبير.

الثاني: هو التشدق، قاله إبراهيم النخعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثالث: أن يلوي شدقه عند ذكر الإنسان احتقاراً، قاله أبو الجوزاء، قال عمرو بن كلثوم.

وكنا إذا الجبّارُ صعر خَدّه   أقمنا له من صعره فتقوّما

الرابع: هو أن يعرض عمن بينه وبينه إحنة هجراً له فكأنه أمر بالصفح والعفو، قاله الربيع بن أنس.

وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني بالمعصية، قاله الضحاك.

الثاني: بالخيلاء والعظمة، قاله ابن جبير.

الثالث: أن يكون بطراً أشراً، قاله ابن شجرة.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه المنان، قاله أبو ذر.

الثاني: المتكبر، قاله مجاهد.

الثالث: البطر، قاله ابن جبير[١].

وهذه الوصايا العظيمة، يحث فيها ولده على كمال الخلق، وعزة النفس، والعفو والصفح، والتواضع والكرم، وعدم الأنفة والمن، والحلم عن الجاهل، ودفع السيئة بالحسنة، وكل هذا من أخلاق الحلماء الكرماء:

فإن لم تكونوا منهم فتشبهوا   إن التشبه بالخيار فلاح

(١) انظر تفسير الماوردي - النكت والعيون - (٤ / ٣٤٠).



وقال لقمان لابنه: كذب من قال إن الشر يطفئ الشر؛ فإن كان صادقاً، فليوقد نارا إلى جنب نار فلينظر هل تطفئ إحداهما الأخرى، وإلا فإن الخير يطفئ الشر كما يطفئ الماء النار.

وقد ذكر عنه أنه قال لابنه: يا بني إني موصيك بخصال، إن تمسكت بهن لم تزل سيدا: ابسط حلمك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، وصل أقرباءك، وليكن إخوانك الذين إذا فارقوك وفارقتهم لم تعب بهم[(١)].

نبأ ابني آدم

قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ [المائدة:٢٧-٣١].

[قلت]: هذا القصص الحق الذي قصه الله علينا، من قصص الحلم، الذي يدفع الله به شر الدنيا والآخرة، وقد ذكر بعض المفسرين، أن المقتول كان أقوى وأشجع من القاتل، ومع هذا زاده حلمه شجاعة وقوة، وما من شخص يقرأ قصتها، إلا مالت فطرته، وكان حبه للمقتول لا للقاتل، بل لقد أوصى النبي ﷺ في أيام الفتنة بين المسلمين: أن يكونوا كخير ابني آدم؛ فصار خيرهما مثلا للعقلاء والعلماء والحلماء،

---

(١) انظر الحلم (١ / ٤٦).

فهل يا ترى يتدبر المسلمون القرآن، ويتخلقوا بأخلاقه، فما أكثر القتل، والخصومات، والخلافات التي تفقد الخوف والحلم، فصارت حياة المسلمين حياة الوحوش، والذئاب، ولا تكاد تجد تآلفهم، وتفاهمهم إلا بقدر المصلحة، والمنفعة الدنيوية إلا من رحم الله تعالى.

من حلم ابن عباس رضي الله عنه

وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما، فلما فرغ قال: يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكس الرجل رأسه، واستحى[(١)].

من حلم حكيم بن حزام رضي الله عنه

وضرب رجل قدم حكيم، فأوجعه، فلم يغضب، فقيل له في ذلك، فقال: أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب[(٢)].

الحسن بن علي

عن عمير بن إسحاق. قال: دخلت أنا ورجل آخر من قريش على الحسن بن علي، فقام فدخل المخرج، ثم خرج، فقال: لقد لفظت طائفة من كبدي أقلبها بهذا العود، ولقد سقيت السم مرارا، وما سقيت مرة هي أشد من هذه.

قال: وجعل يقول لذلك الرجل: سلني قبل أن لا تسألني، فقال ما أسألك شيئا يعافيك الله، قال: فخرجنا من عنده ثم عدنا إليه من الغد.

وقد أخذ في السَّوْق، فجاء حسين حتى قعد عند رأسه، فقال: أي أخي! من صاحبك؟ قال: تريد قتله، قال: نعم! قال: لئن كان صاحبي الذي أظن لله أشد نقمة.

---

(١) انظر إحياء علوم الدين (٣/ ١٧٨).
(٢) انظر إحياء علوم الدين (٣/ ١٧٩).

وفي رواية: فالله أشد بأساً، وأشد تنكيلا، وإن لم يكنه ما أحب أن تقتل بي بريئاً[(١)] .

من حلم الحسن بن علي

شتم رجلٌ الحسن، وأربى عليه، فقال له: أما أنت فما أبقيت شيئاً، وما يعلم اللهّ أكثر.

قال بعض الشعراء:

لـن يـدرك المجـد أقـوامٌ وإن كرمـوا — حتـى يـذلوا وإن عـزوا لأقـوام
ويشـتموا فـترى الألـوان مشـرقةً — لا صـفح ذل ولكـن صـفح أحـلام[(٢)]

وقيل للحسن بن علي رضي الله عنهما: إن فلاناً يقع فيك، فقال: ألقيتني في تعب، الآن أستغفر الله لي وله[(٣)].

وروي عن رجل من أهل الشام قال: دخلت المدينة فرأيت راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا سمتاً ولا ثوباً ولا دابة منه، فمال قلبي إليه، فسألت عنه فقيل: هذا الحسن بن علي بن أبي طالب فامتلأ قلبي له بغضاً، وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله، فصرت إليه فقلت له: أنت ابن أبي طالب؟ فقال: أنا ابنه. قلت: فبك وبأبيك، أسبهما، فلما انقضى كلامي قال: أحسبك غريباً، قلت: أجل، قال: فمل بنا، فإن احتجت إلى منزل أنزلناك، أو إلى مال واسيناك، أو إلى حاجة عاوناك، قال: فانصرفت عنه وما على الأرض أحد أحب إلي منه[(٤)].

أعظم حلم للحسن بن علي رضي الله عنهما

عن الحسن قال: لما سار الحسن بن علي رضي الله عنهما إلى معاوية بالكتائب، قال عمرو بن العاص لمعاوية: أرى كتيبة لا تولي حتى تدبر أخراها قال معاوية: من لذراري

---

(١) انظر البداية والنهاية (٨ / ٤٦).
(٢) انظر عيون الأخبار (١ / ١٢١).
(٣) انظر شرح نهج البلاغة (٢٠ / ٩٥).
(٤) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٣).

المسلمين؟ فقال: أنا؛ فقال عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة: نلقاه فنقول له الصلح، قال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة قال: بينا النبي ﷺ يخطب جاء الحسن، فقال النبي ﷺ: «**ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[(١)]. وفي رواية عند الإمام أحمد، وحسنها الأرنؤوط: (فقال الحسن البصري: فوالله والله بعد أن ولي لم يهرق في خلافته ملء محجمة من دم).

[قلت]: وأي حلم أعظم من تنازل الحسن، الذي استحق به اسم السيادة، ولا يسود إلا الحلماء، والذي بذل فيه الندى وكف الأذى، وحقن الله بحلمه دماء المسلمين، وكان من خير أمة محمد بركة عليها، فهذا الحفيد المبارك، الذي ساد في الدنيا، وساد في الآخرة، فالحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ﵄، وعن أبيهما وأمهما.

مروان والحسن بن علي

ولما مات الحسن بكى مروان في جنازته، فقال له الحسين: أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه؟ فقال: إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا، وأشار بيده إلى الجبل[(٢)].

حلم الحسين بن علي

وكذلك شتم عصام بن المصطلق الحسن بن علي وشتم أباه، فنظر إليه نظرة عاطف رؤف، ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ** ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩][(٣)].

---

(١) رواه البخاري برقم (٧١٠٩).
(٢) انظر الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢ / ٤١٢).
(٣) انظر التفسير المنير للزحيلي (٩ / ٢٢٢).

حلم ربيعة مع أبي بكر وورع أبي بكر رضي الله عنهما

عن ربيعة الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسوله الله ﷺ فأعطاني أرضاً، وأعطى أبا بكر أرضاً، وجاءت الدنيا فاختلفنا في عذق نخلة، فقال أبو بكر: هي في حد أرضي! وقلت أنا: هي في حدي! وكان بيني وبين أبي بكر كلام، فقال لي أبو بكر كلمة كرهتها وندم، فقال لي: يا ربيعة! رُدَّ علي مثلها حتى يكون قصاصاً. قلت: لا أفعل. فقال أبو بكر: لتقولن أو لأستعدينَّ عليك رسوله الله ﷺ قلت: ما أنا بفاعل. قال: ورفض الأرض. فانطلق أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فانطلقت أتلوه، فجاء أناس من أسلم فقالوا: رحم الله أبا بكر! في أي شيء يستعدي عليك رسول الله، وهو الذي قال لك ما قال؟! فقلت: أتدرون من هذا؟ هذا أبو بكر الصديق، وهو (ثاني اثنين)، وهو ذو شيبة المسلمين، فإيَّاكم يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب، فيأتي رسول الله ﷺ فيغضب لغضبه، فيغضب اللهُ لغضبهما، فيهلك ربيعة. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: ارجعوا. فانطلق أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، وتبعته وحدي، وجعلت أتلوه، حتى أتى النبي ﷺ فحدثه الحديث كما كان. فرفع إلي رأسه فقال: «**يا ربيعة! ما لك وللصديق؟**»، قلت: يا رسول الله كان كذا وكان كذا؛ فقال لي كلمة كرهتها؛ فقال لي: قل كما قلتُ لك حتى يكون قصاصاً. فقال رسول الله ﷺ: «**أجل، فلا تردَّ عليه، ولكن قل: غفر الله لك يا أبا بكر!**» قال: فقلت: غفر الله لك يا أبا بكر! فولى أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكي)[1].

[قلت]: أمّا اليوم فيقول أحدنا في أخيه الأوابد، ويصل إليه منه كلُّ شر وفتنة وأذية، ومع هذا ينتظر الظالمُ أن يأتي إليه المظلوم فيعتذر له، وربما تعلَّق بكلمة وقد قال

---

(١) أخرجه أحمد، والطبراني، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٤٥).

فيه كلمات.

من حلم عبد الله بن عمر رضي الله عنه

ذكر أن خادماً لعبد الله بن عمر أذنب، فأراد ابن عمر أن يعاقبه على ذنبه فقال: يا سيدي، أما لك ذنبٌ تخاف الله تعالى منه؟ قال بلى. قال: فبالذي أمهلك لمّا أمهلتني، ثم أذنب العبد ثانياً، فأراد عقوبته فقال له مثل ذلك، فعفا عنه، ثم أذنب الثالثة، فعاقبه وهو لا يتكلَّمُ، فقال له ابن عمر: مالك لم تَقُل ما قلت في الأَوَّلتين فقال: يا سيدي، حياءً من حِلْمِك مع تكرار جُرمي، فبكى ابن عمر وقال: أنا أحقُّ بالحياء من ربيَ، أنت حُّر لوجه الله تعالى(١).

أبو موسى رضي الله عنه ورجل

عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير: أن رجلا كان ذا صوت ونكاية على العدو مع أبي موسى، فغنموا مغنما، فأعطاه أبو موسى نصيبه، ولم يوفه، فأبى أن يأخذه إلا جميعا، فضربه عشرين سوطا، وحلق رأسه، فجمع شعره، وذهب به إلى عمر رضي الله عنه، قال جرير: وأنا أقرب الناس منه، وقد قال حماد: وأنا أقرب القوم منه، فأخرج شعرا من جيبه، فضرب به صدر عمر رضي الله عنه، قال: ما لك، فذكر قصته قال: فكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى سلام عليك، أما بعد: فإن فلان بن فلان، أخبرني بكذا وكذا، وإني أقسم عليك إن كنت فعلت ما فعلت في ملأ من الناس جلست له في ملأ من الناس، فاقتص منك، وإن كنت فعلت ما فعلت في خلاء، فاقعد له في خلاء فليقتص منك، قال له الناس: اعف عنه. قال: لا والله لا أدعه لأحد من الناس، فلما

(١) انظر الأيوبيون بعد صلاح الدين (١ / ٥٠٠).

دفع إليه الكتاب وقعد للقصاص رفع رأسه إلى السماء قال: قد عفوت عنه لله[١].

من حلم معاوية رضي الله عنه

قال معاوية: يا بني أمية قارعوا قريشا بالحلم، فو الله إن كنت لألقى الرجل في الجاهلية يوسعني شتما وأوسعه حلما، فأرجع وهو لي صديق أستنجده فينجدني، وأثيره فيثور معي، وما دفع الحلم عن شريف ولا زاده إلا كرما[٢].

قال رجلٌ من قريش: ما أظن معاوية أغضبه شيءٌ قط!؛ فقال بعضهم: إن ذُكِرَتْ أُمُّه غضب؛ فقال مالك بن أسماء المنى القرشي: أنا أغضبه إن جعلتم لي جُعْلاً -أي أجراً- ففعلوا، فأتاه في الموسم، فقال له: يا أمير المؤمنين! إن عينيك تشبهان عيني أمِّكَ.

قال معاوية: نعم! كانتا عينين طالما أعجبتا أبا سفيان! ثم دعا مولاه شقران، فقال له: اعدد لأسماء المنى ديةَ ابنها؛ فإني قد قتلته وهو لا يدري.

فرجع وأخذ الجعل، فقيل له: إن أتيت عمر بن الزبير فقلتَ له ما قلت لمعاوية أعطيناك كذا وكذا؛ فأتاه، فقال له ذلك، فأمر عمر بن الزبير بضربه حتى مات، فبلغ ذلك معاوية، فقال: أنا -والله- قتلته، وبعث إلى أمه بديته، وأنشأ يقول:

ألا قل لأسماء المنى أمِّ مالك ... فإني لَعَمْرُ الله أهلكت مالكا[٣]

قال إياس بن قتادة:

تعاقب أيدينا ويحلم رأينا ... ونشتم بالأفعال لا بالتكلم

قال قبيصة بن جابر: ما رأيت رجلاً أعظم حلماً، ولا أكثر سؤدداً، ولا ألين مخرجاً

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى.
(٢) انظر الحلم (١ / ٣٧).
(٣) انظر رسائل في أبواب متفرقة (١ / ٢٢).

في أمر من معاوية.

وقال أيضاً: صحبت معاوية بن أبي سفيان، فما رأيت رجلاً أثقل حلماً، ولا أبطأ جهلاً، ولا أبعد أناة منه!

وأسمع رجل مرة معاوية كلاماً شديداً غضب منه أهله، فقيل له: لو سطوت عليه لكان له نكالاً، قال: إني لأستحي أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي.

قال رجل لمعاوية: يا أمير المؤمنين ما أحلمك! قال: إني لأستحي أن يكون جرم رجل أعظم من حلمي.

وعن سفيان قال: قال معاوية: إني لأستحي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو يكون جهل أكثر من حلمي، أو تكون عورة لا أواريها بستري.

وقال معاوية: ما شيء أحمد عاقبة من جرعة غيظ أتجرعها(١).

شهادة ابن عمر لمعاوية بالحلم رضي الله عنهم

عن ابن عمر قال كان معاوية أحلم الناس قالوا: يا أبا عبد الرحمن أبو بكر، قال: أبو بكر خير من معاوية ومعاوية من أحلم الناس. قالوا: يا أبا عبد الرحمن عمر قال: عمر خير من معاوية، ومعاوية من أحلم الناس(٢).

جارية بن قدامة ومعاوية رضي الله عنه

وشهد جارية الجمل، وصفين مع علي، وقال له معاوية وهو يمازحه: ما كان أهونك على أهلك حين سموك جارية، فقال: أنت أهون على أهلك حين سموك معاوية، وإنما المعاوية الكلبة تعاوي الكلاب. فقال معاوية: ثكلتك أمك. قال: أم لم

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٤٣).
(٢) السنة للخلال (٢/ ٤٤٣).

تلدني. قال: لقد هممت أن أسوءك. فقال: إن السلاح الذي لقيناك به يوم صفين عندنا لم نبعه بعد ولم نهبه. قال: إنك لتهددني. قال: إن أفعل فقد خلفت ورائي رجالاً شداداً، وسيوفاً حداداً ورماحاً طوالاً، فحلم عنه معاوية. وأعطاه مائة ألف درهم.

وهلك جارية بالبصرة فشهد الأحنف جنازته، فقال: يرحمك الله أبا أيوب فوالله ما كنت تحسد شريفنا ولا تحقر ضعيفنا[١].

بين معاوية وابنه يزيد

نظر معاوية إلى ابنه يزيد وهو يضرب غلاماً له، فقال له: أتفسد أدبك بأدبه؟ فلم ير ضارباً غلاماً له بعد ذلك.

و قيل ليحيى بن خالد: إنك لا تؤدب غلمانك ولا تضربهم، قال: هم أمناؤنا على أنفسنا فإذا نحن أخفناهم فكيف نأمنهم[٢].

لمعاوية في سياسة الرغبة مع الرعية

قال معاوية: "لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرةً ما انقطعت. قيل: وكيف ذاك؟ قال: كنت إذا مدّوها خلّيتها وإذا خلّوها مددتها ".

وأغلظ له رجل فحلم عنه فقيل له: أتحلم عن هذا؟ فقال: "إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا ".

وفي كتب العجم: "قلوب الرعية خزائن ملوكهم فما أودعتهم من شيء فلتعلم أنه فيها "[٣].

---

(١) انظر أنساب الأشراف (٤ / ١٩٣).
(٢) انظر عيون الأخبار (١ / ١٢٠).
(٣) انظر عيون الأخبار (١ / ٤).

من درر معاوية في الحلم

وقال معاوية: ما وجدت لذة شيء ألذ عندي غباً من غيظ أتجرعه، ومن سفه بالحلم أقمعه.

وكان معاوية يقول: إني لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن إلا كلمة يشتفي بها مشتف جعلتها تحت قدمي ودبر أذني(١).

كتب عمرو بن العاص إلى معاوية: يعاتبه في التأني، فكتب إليه معاوية: أما بعد، فإن التفهم في الخير زيادة ورشد، وإن المتثبت مصيب والعجل مخطئ، وإن لم ينفعه الرفق ضره الخرق، ومن لم تعظه التجارب لم يدرك المعالي، ولا يبلغ الرجل أعلى المبالغ حتى يغلب حلمه جهله، والعاقل سليم من الزلل بالتثبت والأناة وترك العجلة، ولا يزال العجل يجتني ثمرة الندم(٢).

قال معاوية: إني لآنف أن يكون في الأرض جهل لا يسعه حلمي، وذنب لا يسعه عفوي، وحاجة لا يسعها جودي وهذه دعوى عالية الرتبة إن قاربت الفعل استحق صاحبها صفة الكمال(٣).

أعرابي ومعاوية

وشهد أعرابي عند معاوية بشهادة، فقال له معاوية: كذبت، فقال له الأعرابي: الكاذب والله متزمل في ثيابك، فقال معاوية: هذا جزاء من عجل(٤).

عبد الله بن الزبير ومعاوية

كان لعبد الله بن الزبير ﭬ مزرعة مجاورة لمزرعة معاوية بن أبي سفيان ﭬ في

---

(١) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٣).
(٢) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٣).
(٣) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٣).
(٤) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٣).

المدينة، وذات يوم دخل عمال مزرعة معاوية إلى مزرعة ابن الزبير، فغضب ابن الزبير، وكتب إلى معاوية بدمشق، وقد كان بينهما عداوة خلفتها الفتنة التي كانت قائمة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، جاء فيها:

من عبد الله بن الزبير إلى معاوية بن هند آكلة الأكباد أما بعد: فإنّ عمالك دخلوا مزرعتي فمرهم بالخروج منها ، أو فو الذي لا إله إلا هو ليكوننّ لي معك شأن، فاستقبل رسالة ابن الزبير برجاحة صدر وعقل تامَّين، وعرض رسالته على ابنه يزيد قائلا له: إنّ ابن الزبير أرسل لي رسالة يهددني بها فماذا ترى؟ ، فما كان من يزيد إلا أن قال: أرسل له جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتيك برأسه، إلا أنّ معاوية بحلمه رضي الله عنه ردّ عليه ردا جميلا، واحتوى ابن الزبير رضي الله عنهما بحلمه الراقي ، فقال: بل هو خير من ذلك زكاة وأقرب رحما، وكتب له الرسالة التالية:

أما بعد: فو الله لو كانت الدنيا بيني وبينك لسلمتها إليك، ولو كانت مزرعتي من المدينة إلى دمشق لدفعتها إليك، فإن وصلك كتابي هذا فخذ مزرعتي إلى مزرعتك، وعمالي إلى عمالك، فإنّ جنة الله عرضها السموات والأرض.

وما أن قرأ ابن الزبير رضي الله عنهما الرسالة حتى بكى بكاء جعله يسافر إلى معاوية في دمشق وقبّل رأسه وقال: لا أعدمك الله حلما أحلك في قريش هذا المحل[(١)].

معاوية وابن زرارة

وقال معاوية يوماً: ما ولدت قرشية خيراً لقريش مني، فقال ابن زرارة: بل ما ولدت شراً لهم منك، فقال: كيف؟ قال لأنك عودتهم عادة يطلبونها ممن بعدك فلا يجيبونهم إليها، فيحملون عليهم كحملهم عليك فلا يحتملون، وكأني بهم كالزقاق

---

(١) انظر أرشيف المجلس العلمي (٢٣٨٥٥/ ٥٤).

المنفوخة على طرقات المدينة[(١)].

عبد الله بن الزبير ومصعب

كان عبد الله بن الزبير قد هجا آل الزبير، وأفرط في العصبية لآل مروان فمن قوله:

ففي رجب أو غرة الشهر بعده ... تزوركم حمر المنايا وسودها

ثمانون ألفاً دين عثمان دينهم ... كتائب فيها جبرئيل يقودها

فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت ... ففي النار سقياه هناك صديدها

فلما ولي مصعب العراق أدخل إليه عبد الله بن الزبير، فقال له: إيه يا ابن الزبير أنت القائل: إلى رجب السبعين أو ذلك قبله، وذلك الشعر، فقال: نعم أنا القائل ذلك، وإن الحقين ليأبى العذرة، ولو قدرت على جحده لجحدته، فاصنع ما أنت صانع، قال: أما إني لا أصنع إلا خيراً، أحسن قوم إليك فأحببتهم وواليتهم فمدحتهم، وأمر له بجائزة وكسوة ورده إلى منزله مكرماً، فكان ابن الزبير بعد ذلك يمدحه ويشيد بذكره[(٢)].

من حلم جبير بن مطعم

عن جبير بن مطعم، تزوج امرأة من بني نصر، فطلقها قبل أن يدخل بها، فأرسل إليها بالصداق كاملا وقال: أنا أحق بالعفو منها قال الله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة:٢٣٧] وأنا أحق بالعفو منها[(٣)].

من حلم عمرو بن العاص رضي الله عنه

ركب عمرو بن العاص يوماً بغلة له شهباء، ومضى على قوم جلوس، فقال بعضهم: من يقوم إلى الأمير فيسأله عن أمه وله عشرة آلاف؟ فقال واحد منهم: أنا،

(١) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٣).
(٢) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٧).
(٣) رواه الدارقطني والبيهقي.

فقام إليه فأخذ بعنانه وقال: أصلح الله الأمير، أنت أكرم الناس خيلاً فلم تركب دابة قد شاب وجهها؟ فقال: إني لا أمل دابتي حتى تملني، ولا أمل رفيقي حتى يملني، إن الملالة من كدر الأخلاق، فقال: أصلح الله الأمير، أما العاص بن وائل فقد عرفنا شرفه ونسبه ومنصبه، فمن أم الأمير أصلحه الله؟ قال: على الخبير وقعت، أمي النابغة بنت حرملة من عنزة ثم من بني جلان، سبتها رماح العرب فأتي بها سوق عكاظ فبيعت فاشتراها عبد الله بن جدعان ووهبها للعاص بن وائل فولدت فأنجبت، فإن كان جعل لك جعل فامض فخذه، خل عنان الدابة[١].

من حلم حذيفة بن اليمان ﷺ

عن عائشة ﷺ قالت: لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس لعنة الله عليه: أي عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال: أي عباد الله أبي أبي!! قال: قالت فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة يغفر الله لكم، قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله[٢].

وفي مستدرك الحاكم[٣]: فقال حذيفة: أبي أبي!! فقالوا: والله ما عرفناه، وصدقوا، فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه، فتصدق به حذيفة على المسلمين، فزاده ذلك خيراً عند رسول الله ﷺ.

من حلم علي بن الحسين

كانت جارية لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ تعالى تسكب الماء على يده، فنعست فسقط الإبريق من يدها فشجه فرفع رأسه، فقالت: إن الله يقول:

---

(١) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٤).
(٢) رواه البخاري (٤٠٦٥).
(٣) مستدرك الحاكم (٤٩٠٩)

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾! [آل عمران: ١٣٤]، قال: كظمت غيظي، قالت: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾! [آل عمران: ١٣٤]، قال: عفا الله عنك، قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾! [آل عمران: ١٣٤]، قال: فاذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى. قال بعض الشعراء في هذا المعنى:

تموت أضغانه أيام قدرته	ومكنة الحر تنسى فاحش الخطل
إذا الجرائم هاجته تغمدها	بالصفح منه حليماً غير ذي فشل[١]

علي بن الحسين ومملوكه

ودعا علي بن الحسين مملوكه مرتين فلم يجبه، ثم أجابه في الثالثة، فقال: يا بني أما سمعت صوتي؟ قال: بلى، قال: فما بالك لم تجبني؟ قال: أمنتك، قال: الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني[٢].

[أقول]: أما نحن اليوم فحسبنا الله ونعم الوكيل، صار يخاف أحدنا منه أبوه وأمه وزوجته وأخوه وأخته وأولاده وجميع أقاربه، بل أصبح تخاف منه دابته وهره وكلبه ودجاجه من سوء خلقه، وشدة معاملته، وهو يظن أن هذا من المهابة والرجوله، ونسيَ أن المؤمن هينٌ لينٌ سهل.

يقول أبو حازم رحمه الله: السيئ الخلق أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه، هي منه في بلاء. ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته، وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه، فرقا منه. وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزو على الجدار، حتى إن قطه ليفر منه[٣].

---

(١) انظر الجوهر النفيس في سياسة الرئيس (١ / ١٤٢).
(٢) انظر مختصر تاريخ دمشق (٥ / ٣٤٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٩٩).



وروى ابن أبي الدنيا: أن غلاما سقط من يده سفود، وهو يشوي شيئا في التنور على رأس صبي لعلي بن الحسين فقتله، فنهض علي بن الحسين مسرعاً، فلما نظر إليه قال للغلام: إنك لم تتعمد، أنت حر، ثم شرع في جهاز ابنه.

وقال المدائني: سمعت سفيان يقول: كان علي بن الحسين يقول: ما يسرني أن لي بنصيبي من الذل حمر النعم(١).

رجل من آل الزبير وعلي بن الحسين

وقال رجل لرجل من آل الزبير كلاماً أقذع فيه، فأعرض الزبيري عنه، ثم دار كلام فسب الزبيري علي بن الحسين فلم يجبه، فقال له الزبيري: ما يمنعك من جوابي؟ فقال علي: ما منعك من جواب الرجل(٢).

علي بن الحسين ورجل

ونال منه رجل يوما فجعل يتغافل عنه -يريه أنه لم يسمعه- فقال له الرجل: إياك أعني، فقال له علي: وعنك أغضي.

وقال الشاعر في نحو ذلك:

ولقد أمر على اللئيم يسبني   فأجوز ثم أقول لا يعنيني(٣)

وخرج يوما من المسجد فسبه رجل فانتدب الناس إليه، فقال: دعوه، ثم أقبل عليه فقال: ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل فألقى إليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول: إنك من أولاد الأنبياء(٤).

---

(١) ورواه الزبير بن بكار من غير وجه عنه. انظر البداية والنهاية (٩/ ١٢٥).
(٢) انظر التذكرة الحمدونية (١/ ١٧٣).
(٣) انظر التذكرة الحمدونية (١/ ١٧٣).
(٤) البداية والنهاية (٩/ ١٢٣).

علي بن الحسين وحسن بن حسن

قالوا: واختصم علي بن الحسين وحسن بن حسن -وكان بينهما منافسة- فنال منه حسن بن حسن وهو ساكت، فلما كان الليل ذهب علي بن الحسين إلى منزله فقال: يا ابن عم إن كنت صادقا يغفر الله لي، وإن كنت كاذبا يغفر الله لك والسلام عليك، ثم رجع، فلحقه فصالحه(١).

[قلت]: هو الذي أخطأ عليه، ومع هذا ذهب إلى بيته، وأحدنا اليوم يلقى منه أخوه الشر والبلاء ويجني عليه، ويسئ غاية الإساءة ثم يزيده ذلك عتواً ونفوراً، ويطلب الجاني أن يأتي المجني عليه؛ ليعتذر له ويحسن إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

من حلم سالم بن عبد الله بن عمر

عن عبد الله بن نافع؛ أن سالم بن عبد الله بن عمر مر على عير لأهل الشام وفيها جرس، فقال: إن هذا منهي عنه، فقالوا: نحن أعلم بهذا منك، إنما يكره الجُلْجُل الكبير، فأما مثل هذا فلا بأس به. فسكت سالم وقال: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩](٢).

من حلم عمر بن عبد العزيز

وعن الأوزاعي: أن عمر بن عبد العزيز كان إذا أراد أن يعاقب رجلا؛ حبسه ثلاثة أيام ثم عاقبه؛ كراهة أن يُعَجِّل في أول غضبه، وأسمعه رجل كلاما، فقال: أردت أن يستفزني الشيطان فأنال منك اليوم بما تناله أنت مني في يوم القيامة، انصرف عني عافاك الله ورحمك(٣).

جنى عبد أسود على عمر بن عبد العزيز رحمه الله في عنفوان حداثته جناية، فشده

(١) انظر البداية والنهاية (٩ / ١٢٣).
(٢) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٦٣٩).
(٣) انظر المجالسة وجواهر العلم (٨ / ٣٢).

ليضربه، فقال له: يا مولاي لم تضربني؟ قال: لأنك جنيت كذا، وكذا، فقال العبد: هل جنيت أنت جناية قط، فغضب عليك مولاك؟ قال: نعم، قال: فهل عجل عليك؟ فقال له: قم فأنت حر لوجه الله تعالى، فكان ذلك سبب توبته[١].

وقال عمر بن عبد العزيز: متى أشفي غيظي؟ أحين أقدر فيقال لي: لو عفوت، أو حين أعجز فيقال لي: لو صبرت؟[٢]

ولما ولي عمر بن عبد العزيز خرج ليلة في السحر إلى المسجد ومعه حَرَسِيٌّ فمرَّا برجلٍ نائم في الطريق، فعثُر به عمر، فقال الرجل: أمجنون أنت؟! قال عمر: لا، فَهَمَّ به الحرسيُّ، فقال عمر: مه؛ فإنه سألني: أمجنون أنت؟ فقلت: لا[٣].

وأتي عمر بن عبد العزيز برجل كان واجداً عليه فأمر بضربه، ثم قال: لولا أني غاضب لضربتك، ثم خلى سبيله ولم يضربه.

قال رجل لعمر بن عبد العزيز: إن فلاناً يقع فيك، فقال: والله إني لأدع الانتصار وأنا أقدر عليه، وأدع الصغيرة مخافة الكبيرة، وإن التقي ملجم[٤].

وقال عمر بن عبد العزيز: "لو أقمت فيكم خمسين عاماً ما استكملت العدل؛ وإني لأُجمع أن أخرج للمسلمين أمراً من العدل، فأخاف أن لا تحتمله قلوبهم فأخرج معه طمعاً من طمع الدنيا، فإن فرت القلوب من هذا سكنت إلى هذا"[٥].

أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل، قد كان نذر إن أمكنه اللهّ منه ليفعلنّ به وليفعلن. فقال له رجاء بن حيوة: قد فعل اللهّ ما تحب من الظفر فافعل ما يحب اللهّ من العفو[٦].

---

(١) انظر الجوهر النفيس في سياسة الرئيس (١ / ١٤٢).
(٢) انظر عيون الأخبار (١ / ١٢٣).
(٣) رسائل في أبواب متفرقة (١ / ٢٠).
(٤) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٨).
(٥) انظر مختصر تاريخ دمشق (٦ / ٨٠).
(٦) انظر عيون الأخبار (١ / ٤٢).

[قلت]: قد تقدم هذا القول من رجاء بن حيوة لعبد الملك، فلعله حصل له لذا وذاك، ووجد نفعه فكرره لعمر بن عبد العزيز.

عمر بن عبد العزيز وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب

وعن عمر مولى غفرة: أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، كان على الكوفة في عهد عمر بن عبد العزيز، فكتب إلى عمر: إني وجدت رجلا بالكناسة سوق من أسواق الكوفة يسبك، وقد قامت عليه البينة، فهممت بقتله، أو بقطع يده، أو لسانه، أو جلده، ثم بدا لي أن أراجعك فيه، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: سلام عليك أما بعد: فوالذي نفسي بيده لو قتلته لقتلتك به، ولو قطعته لقطعتك به، ولو جلدته لأقدته منك، فإذا جاء كتابي هذا، فاخرج به إلى الكناسة، فسب الذي سبني، أو اعف عنه؛ فإن ذلك أحب إلي، فإنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجل سب رسول الله ﷺ فمن سب رسول الله ﷺ فقد حل دمه[1].

عمر بن عبد العزيز وعقيل بن علفة

كلم عمر بن عبد العزيز رجلاً من بني أمية، وقد ولدته نساء بني مرة، فعاب عليه جفاءً رآه منه، فقال: قبح الله شبهاً غلب عليك من بني مرة، وبلغ ذلك عقيل بن علفة المري، وهو بجنفاء من المدينة على أميال في بلد بني مرة، فركب حتى قدم على عمر، وهو بدير سمعان، فقال: هيه يا أمير المؤمنين؛ بلغني أنك غضبت على فتى من بني أبيك، فقلت: قبح الله شبهاً غلب عليك من بني مرة، وإني أقول: قبح الله ألأم طرفيه. فقال عمر: دع ويحك هذا وهات حاجتك، فقال: والله ما لي حاجة غير حاجته. وولى

---

(١) رواه البيهقي.

راجعاً من حيث جاء، فقال عمر: يا سبحان الله؛ من رأى مثل هذا الشيخ؟ جاء من جنفاء ليس إلا يشتمنا، ثم انصرف؛ فقال له رجل من بني مرة: إنه والله يا أمير المؤمنين ما شتمك، وما شتم إلا نفسه، نحن والله ألأم طرفيه[1].

قيس بن عاصم المنقري

عن أبي سفيان بن العلاء؛ قال: قيل للأحنف بن قيس: مَنْ حَلَّمَكَ؟ قال: تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري، لقد اختلفت إليه في الحلم كما يُخْتَلَفُ إلى الفقهاء في الفقه، بينما نحن عند قيس بن عاصم وهو قاعد بفنائه محتب بكسائه أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف، فقيل: هذا ابنك قتله ابن أخيك. قال: فوالله! ما حل حبوته حتى فرغ من كلامه، ثم التفت إلى ابن له في المسجد، فقال: قم؛ فأطلق عن ابن عمك، ووَارِ أخاك، واحمل إلى أمه مائة من الإبل؛ فإنها غريبة. وأنشأ يقول:

إِنِّي امْرُؤٌ لا شَائِنٌ حَسَبِي ... دَنِسٌ يُعَيِّرُهُ وَلا أَفِنُ

مِنْ مِنْقَرٍ فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ ... وَالْغُصْنُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْغُصُنُ

خُطَبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ ... بِيضُ الْوُجُوهِ أَعِفَّةٌ لُسُنُ

لا يَفْطِنُونَ لِعَيْبِ جَارِهِمْ ... وَهُمْ بِحُسْنِ جِوَارِهِمْ فُطُنُ

ثم أقبل على القاتل فقال: قتلت قرابتك، وقطعت رحمك، وأقللت عددك، لا يبعد الله غيرك.

وفي قيس بن عاصم يقول عبدة بن الطبيب:

عليك سلام الله قيس بن عاصمٍ ... ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من ألبسته منك نعمةً ... إذا زار عن شحطٍ بلادك سلما

(١) انظر عيون الأخبار (١/ ١٢٢).

وما كان قيس هلكه هلك واحدٍ ولكنه بنيان قومٍ تهدما[١]

حلم الأحنف

وعن الأحنف قال: ما نازعني أحد فكان فوقي إلا عرفت له قدره، ولا كان دوني إلا رفعت قدري عنه، ولا كان مثلي إلا تفضلت عليه. وبلغنا أن رجلاً قال للأحنف: لئن قلت واحدة لتسمعن عشراً، فقال له: لكنك لئن قلت عشراً لم تسمع واحدة.

قال الأحنف بن قيس: "ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: حليم من أحمق، وبَرٌّ من فاجر، وشريف من دنيء "[٢].

روى المدائني عن محمد بن ربيعة:أن رجلاً قال للأحنف: لأسبنك سباً يدخل معك قبرك. فقال: بل يدخل معك قبرك[٣].

الأحنف بن قيس وامتحان عمرو بن الأهتم لحلمه

وقف رجل عليه مقطعات على الأحنف بن قيس يسبه، وكان عمرو بن الأهتم جعل له ألف درهم على أن يسفه الأحنف، وجعل لا يألو أن يسبه سباً يغضب، والأحنف مطرق صامت لا يكلمه. فلما رآه لا يكلمه أقبل الرجل يعض إبهامه ويقول: يا سوأتاه والله ما يمنعه من جوابي إلا هواني عليه[٤].

من درر الأحنف

قيل للأحنف: ما الحلم؟ قال: الرِّضا بالذُّل.

وقال له رجل: بِمَ سُدْتَ؟ قال: بتَرْكي من أمرك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك.

---

(١) انظر عيون الأخبار (١ / ١٢١).و المجالسة وجواهر العلم (٨ / ٢٩).
(٢) انظر شعب الإيمان (١١/ ٢٩).
(٣) انظر أنساب الأشراف (٤/ ١٧٥).
(٤) انظر التذكرة الحمدونية (١/ ١٧٣). وانظر المجالسة وجواهر العلم (٨ / ٢٦).

وقال: من حقِّ الصديق أن تُحتمل له ثلاثٌ: ظلم الغضب، وظلم الدالة، وظلم الهفوة[١].

وقال الأحنف: ألا أخبركُم بأدوأ الداءِ؟ الخلقُ الدنيءُ، واللسان البذيء.

وقال: ثلاثٌ فيَّ ما أقولُهن إلا ليعتبرَ معتبرٌ: ما دَخلتُ بين اثنين حتى يُدخلاني بينهُما، ولا أتيتُ باب أحد من هؤلاء ما لم أدع إليه -يعني السُّلطان- ولا حَللتُ حَبَوتي إلى ما يقومُ إليه الناس[٢].

الأحنف ابن قيس ومصعب بن الزبير

أتى الأحنف ابن قيس مصعب بن الزبير فكلّمه في قوم حبسهم، فقال: أصلح اللهّ الأمير، إن كانوا حبسوا في باطل فالحق يخرجهم، وإن كانوا حبسوا في حق فالعفو يسعهم. فخلاّهم[٣].

من لم يصبر على كلمةٍ سمع كلماتٍ

قال الأحنف: من لم يصبر على كلمةٍ سمع كلماتٍ ورب غيظٍ قد تجرعته مخافة ما هو أشد منه.

كان شبيب بن شيبة يقول: من سمع كلمة يكرهها فسكت عنهم انقطع عنه ما يكره، فإن أجاب عنهم سمع أكثر مما يكره. وكان يتمثل بهذا البيت:

وتجزع نفس المرء من وقع شتمةٍ ويشتم ألفاً بعدها ثم يصبر

قال أكثم بن صيفي: العز والغلبة للحلم[٤].

ومن عجائب ما يذكر في هذا الباب: أن رجلاً قال لرجل: يا ابن الزانية. فغضب

---

(١) نثر الدر (١ / ٣٥٨).
(٢) انظر نثر الدر (١ / ٣٥٩).
(٣) انظر عيون الأخبار (١ / ٤٢).
(٤) انظر عيون الأخبار (١ / ١٢٠).

عليه فطعنه حتى قتله، فجعل يحركه وهو ميت لا يتحرك؛ فاندهش وخاف، وكان يقول له: قم. وأنا ابن ستين زانية؟!!!

الأحنف ورجل من قيس بن ثعلبه

وآلى رجل من قيس بن ثعلبة ليلطمن سيد بني تميم، فلطم الأحنف، فقال له: يا ابن أخي: ما دعاك إلى هذا؟ فقال: حلفت لألطمن سيد بني تميم، فقال: ما أنا بسيد بني تميم، سيدهم جارية بن قدامة. فأتى جارية فلطمه، فأمر به، فأدخل الدار ثم دعا بحداد فقطع يده[(١)].

الأحنف وأحد سفهاء البصرة

وشتم بعض سفهاء البصرة الأحنف شتما قبيحا، فحلم عنه، فقيل له في ذلك، فقال: دعوه فإني قد قتلته بالحلم عنه، وسيقتل نفسه بجراءته، فلما كان بعد أيام جاء ذلك السفيه، فشتم زيادا، وهو أمير البصرة حينئذ، وظن أنه كالأحنف، فأمر به فقطع لسانه ويده[(٢)].

الأحنف وعكراش

ومر الأحنف بعكرَاش بن ذُؤيب -وكان ممن شهد الجمل مع عائشة- فقُطعت يداه جميعاً. فصاح به عكراش: يا مخّذِّلُ. فقال الأحنفُ: إنك لو كنت أطعتني؛ لأكلت بيمينك، وامتسحت بشمالك.

وكان يقول: ما تزالُ العربُ بخير ما لبست العمائمَ، وتقلدتِ السيوف ولم تَعُدَّ الحلم ذُلاً ولا التواهب بينها ضعةً[(٣)].

---

(١) انظر أنساب الأشراف (٤ / ١٩٣).
(٢) انظر شرح نهج البلاغة (٢٠ / ٩٥).
(٣) انظر نثر الدر (١ / ٣٥٨).



الأحنف والخياط

ويقال: إنه لم يُرَ قطُّ ضجرا إلا مرةً واحدة، فإنه أعطى خياطاً قميصاً يخيطُهُ، فحَبسه حولين. فأخذ الأحنفُ بيَد ابنه بحر، فأتى به الخياط، وقال: إذا متُّ فادفع القميص إلى هذا(١).

الأحنف ورجل

قال رجلٌ للأحنف: تسمعُ بالمعيديِّ خير من أن تراه. قال: وما ذممت منِّي يا أخي؟ قال: الدمامة، وقِصَرَ القامة. قال: لقد عبت ما لم أؤامَر فيه(٢).

الأحنف وأحد العبيد

بلغني أنه كان جالساً، وعنده جماعة، فرمى بعض المماليك بعضاً بسرموزة -رأس الخفِّ- فأخطأته، ووقعت بالقرب منه، فالتفت إلى الجهة الأخرى يكلم جليسه؛ ليتغافل عنها(٣).

من حلم سلمان والربيع بن خثيم

شتم رجل سلمان، فقال: إن خفت موازيني، فأنا شر مما تقول، وإن ثقلت موازيني لم يضرني.

وشتم رجل الربيع بن خثيم، فقال: يا هذا قد سمع الله كلامك، وإن دون الجنة عقبة، إن قطعتها لم يضرني ما تقول، وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول(٤).

حلم مصعب بن الزبير تفكير في العاقبة

وروى الخطيب البغدادي في تاريخه: أن مصعبا غضب مرة على رجل، فأمر بضرب

(١) انظر نثر الدر (١ / ٣٥٨).
(٢) انظر نثر الدر (١ / ٣٥٩).
(٣) انظر رسائل في أبواب متفرقة (١ / ٢٣).
(٤) انظر إحياء علوم الدين (٣ / ١٧١).

عنقه، فقال الرجل: أعز الله الأمير! ما أقبح بمثلي أن يقوم يوم القيامة فيتعلق بأطرافك هذه الحسنة، وبوجهك هذا الذي يستضاء به، فأقول: يا رب سل مصعبا فيم قتلني. فعفا عنه، فقال الرجل: أعز الله الأمير إن رأيت ما وهبتني من حياتي في عيش رضي، فأطلق له مائة ألف، فقال الرجل: إني أشهدك أن نصفها لابن قيس الرقيات حيث يقول فيك:

إن مصـــــعبا شـــــهاب مـــــن الله	**تجلــــت عـــن وجهـــه الظلـــماء**
ملكـــه ملـــك رحمـــة لـــيس فيـــه	**جـــبروت منـــــه ولا كبريـــــاء**
يتقــــي الله في الأمــــور وقـــــد	**أفلـــح مـــن كـــان همـــه الاتقـــاء**

وفي رواية أنه قال له: أيها الأمير قد وهبتني حياة، فإن استطعت أن تجعل ما قد وهبتني من الحياة في عيش رضي وسعة فافعل، فأمر له بمائة ألف.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حماد بن سلمة، ثنا علي بن يزيد قال: بلغ مصعبا، عن عريف الأنصاري شيء فهمَّ به، فدخل عليه أنس بن مالك، فقال له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**استوصوا بالأنصار خيراً -أو قال معروفا- اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**».

فألقى مصعب نفسه عن سريره وألصق خده بالبساط وقال: "أمر رسول الله ﷺ على الرأس والعين" فتركه[(١)].

حلم الإمام أحمد

لما دعي الإمام أحمد إلى القول بخلق القرآن، وبعد المناظرة أمام المعتصم، وتضليل المعتزلة له، وتكفيره، قال له إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد: يا أمير المؤمنين ليس من

---

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٣٥١).

تدبير الخلافة أن تخلي سبيله، ويغلب خليفتين، فعند ذلك حمي واشتد غضبه، وكان ألينهم عريكة، وهو يظن أنهم على شئ.

قال أحمد فعند ذلك قال لي: لعنك الله، طمعت فيك أن تجيبني فلم تجبني، ثم قال: خذوه واخلعوه واسحبوه.

قال أحمد: فأخذت وسحبت وخلعت وجئ بالعقابين، والسياط وأنا أنظر، وكان معي شعرات من شعر النبي ﷺ مصرورة في ثوبي، فجردوني منه، وصرت بين العقابين، فقلت: يا أمير المؤمنين الله الله، إن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث**» وتلوت الحديث، وإن رسول الله ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم**»: فبم تستحل دمي ولم آت شيئاً من هذا؟ يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين يدي الله كوقوفي بين يديك، فكأنه أمسك. ثم لم يزالوا يقولون له: يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر، فأمر بي فقمت بين العقابين، وجئ بكرسي فأقمت عليه، وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأي الخشبتين، فلم أفهم، فتخلعت يداي وجئ بالضرابين، ومعهم السياط، فجعل أحدهم يضربني سوطين، ويقول له –يعني المعتصم–: شد قطع الله يديك، ويجئ الآخر فيضربني سوطين ثم الآخر كذلك، فضربوني أسواطا فأغمي علي وذهب عقلي مرارا، فإذا سكن الضرب يعود علي عقلي، وقام المعتصم إلي يدعوني إلى قولهم فلم أجبه، وجعلوا يقولون: ويحك! الخليفة على رأسك، فلم أقبل وأعادوا الضرب ثم عاد إلي فلم أجبه، فأعادوا الضرب ثم جاء إلي الثالثة، فدعاني فلم أعقل ما قال من شدة الضرب، ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس بالضرب، وأرعبه ذلك من أمري، وأمر بي فأطلقت، ولم أشعر إلا وأنا في

حجرة من بيت، وقد أطلقت الأقياد من رجلي، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين، ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله، وكان جملة ما ضرب نيفا وثلاثين سوطا، وقيل ثمانين سوطا، ولكن كان ضربا مبرحا شديدا جدا.ولما حمل من دار الخلافة إلى دار إسحاق بن إبراهيم وهو صائم، أتوه بسويق؛ ليفطر من الضعف، فامتنع من ذلك وأتم صومه، وحين حضرت صلاة الظهر صلى معهم، فقال له ابن سماعة القاضي: وصليت في دمك! فقال له أحمد: قد صلى عمر وجرحه يثعب دما، فسكت.

ويروى أنه لما أقيم؛ ليضرب انقطعت تكة سراويله، فخشي أن يسقط سراويله، فتكشف عورته، فحرك شفتيه فدعا الله فعاد سراويله كما كان، ويروى أنه قال: يا غياث المستغيثين، يا إله العالمين، إن كنت تعلم أني قائم لك بحق؛ فلا تهتك لي عورة.

ولما رجع إلى منزله جاءه الجرايحي فقطع لحما ميتا من جسده، وجعل يداويه، والنائب في كل وقت يسأل عنه، وذلك أن المعتصم ندم على ما كان منه إلى أحمد ندما كثيرا، وجعل يسأل النائب عنه والنائب يستعلم خبره، فلما عوفي فرح المعتصم والمسلمون بذلك، ولما شفاه الله بالعافية بقي مدة وإبهاماه يؤذيهما البرد، وجعل كل من آذاه في حل إلا أهل البدعة، وكان يتلو في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْ﴾ الآية [النور: ٢٢].

ويقول: ماذا ينفعك أن يعذب أخوك المسلم بسببك؟ وقد قال تعالى: **﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾** [الشورى: ٤٠] وينادي المنادي يوم القيامة: «**ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا**»، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة، وما**

زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، ومن تواضع لله رفعه الله»[(١)] .

الإمام أحمد والمعتصم

قال ابن حبان البستي ﷺ تعالى: سمعت إسحاق بن أحمد القطان البغدادي بتستر يقول: كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب القراء، وكان يتفقد الصالحين، ويتعاهدهم، فقال لي: دخلت يوما على أحمد بن حنبل، فإذا هو مغموم مكروب، فقلت: ما لك يا أبا عبد الله؟ قال: خير. قلت: وما الخير؟ قال: امتحنتُ بتلك المحنة، حتى ضربت، ثم عالجوني، وبرأت إلا أنه بقى في صلبي موضع يوجعني، هو أشد علي من ذلك الضرب، قال: قلت: اكشف لي عن صلبك. قال: فكشف لي فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط، فقلت: ليس لي بذي معرفة، ولكن سأستخبر عن هذا. قال: فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس، وكان بيني وبينه فضل معرفة، فقلت له: أدخل الحبس في حاجة؟ قال: ادخل فدخلت، وجمعت فتيانهم وكان معي دريهمات، فرقتها عليهم وجعلت أحدثهم، حتى أنسوا بي، ثم قلت: من منكم ضرب أكثر؟ قال: فأخذوا يتفاخرون، حتى اتفقوا على واحد منهم، أنه أكثرهم ضربا وأشدهم صبرا، قال: فقلت له: أسألك عن شيء، فقال: هات فقلت: شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضرب على الجوع للقتل سياطا يسيرة إلا أنه لم يمت، وعالجوه، وبرأ إلا أن موضعا في صلبه يوجعه وجعا ليس له عليه صبر؟ قال: فضحك فقلت: مالك؟ قال: الذي عالجه كان حائكا، قلت: إيش الخبر؟ قال: ترك في صلبه قطعة لحم ميتة، لم يقلعها قلت: فما الحيلة؟ قال: يبط صلبه، وتؤخذ تلك القطعة، ويرمى بها، وإن تركت بلغت إلى فؤاده، فقتلته، قال: فخرجت من الحبس،

---

(١) انظر البداية والنهاية (١٠ / ٣٦٨).

فدخلت على أحمد ابن حنبل، فوجدته على حالته، فقصصت عليه القصة، قال: ومن يبطه؟ قلت: أنا. قال: أو تفعل؟ قلت: نعم. قال: فقام فدخل البيت، ثم خرج وبيده مخدتان، وعلى كتفه فوطة فوضع إحداهما لي، والأخرى له، ثم قعد عليها، وقال: استخر الله فكشفت الفوطة عن صلبه، وقلت: أرني موضع الوجع. فقال: ضع إصبعك عليه، فإني أخبرك به فوضعت إصبعي، وقلت: ها هنا موضع الوجع؟ قال: ههنا أحمد الله على العافية، فقلت: ها هنا؟ قال: هاهنا أحمد الله على العافية، فقلت: هاهنا؟ قال: هاهنا أسأل الله العافية، قال: فعلمت أنه موضع الوجع، قال: فوضعت المبضع عليه، فلما أحس بحرارة المبضع، وضع يده على رأسه، وجعل يقول: اللهم اغفر للمعتصم، حتى بططته، فأخذت القطعه الميتة، ورميت بها، وشددت العصابة عليه، وهو لا يزيد على قوله: اللهم اغفر للمعتصم، قال: ثم هدأ وسكن، ثم قال: كأني كنت معلقا، فأصدرت. قلت: يا أبا عبد الله إن الناس إذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم، ورأيتك تدعو للمعتصم؟ قال: إني فكرت فيما تقول وهو ابن عم رسول الله ﷺ فكرهت أن آتي يوم القيامة، وبيني وبين أحد من قرابته ﷺ خصومة هو مني في حل[١].

من حلم الخليفة المنصور

وعن الأصمعي قال: أتي المنصور برجل يعاقبه على شيء بلغه عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين! الانتقام عدل والتجاوز فضل، ونحن نُعِيذُ أميرَ المؤمنين بالله أن يَرْضَى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين. قال: فعفا عنه[٢].

وحضر عنده مبارك بن فضالة يوما، وقد أمر برجل أن يضرب عنقه، وأحضر النطع والسيف، فقال له مبارك: سمعت الحسين يقول قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان**

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١ / ١٦٤-١٦٥).
(٢) انظر المجالسة وجواهر العلم (٣/ ١٨٩).

يوم القيامة نادى مناد ليقم من كان أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا» فأمر بالعفو عن ذلك الرجل.

ثم أخذ يعدد على جلسائه عظيم جرائم ذلك الرجل وما صنعه[(١)].

[قلت]: الحديث رواه الخطيب عن ابن عباس وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (٦٦٩).

موقف في الحلم لأبي جعفر المنصور

وكان أبو جعفر المنصور شديد السطوة سريع الانتقام، وعهدت له فعلة كريمة في العفو، روي أنه خطب فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، واعترضه معترض عن يمينه فقال: أيها الإنسان، أذكركم من ذكرت به، فقطع المنصور الخطبة، وقال: سمعاً سمعاً لمن حفظ الله وذكَّر به، وأعوذ بالله أن أكون جباراً عنيداً، وأن تأخذني العزة بالإثم، قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين؛ وأنت أيها القائل فوالله ما الله أردت بها، ولكنك حاولت أن يقال: قام فقال، فعوقب فصبر، وأهون بها ويلك لو هممت، وأهيب لها إذ عفوت، وإياكم معشر الناس مثلها، فإن الحكمة علينا نزلت، ومن عندنا فصلت، فردوا الأمر إلى أهله يوردوه موارده ويصدروه مصادره، ثم عاد في خطبته كأنما يقرأها من كفه: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله[(٢)].

عبد اللّه بن علي والأسير

أخذ عبد اللهّ بن عليّ أسيراً من أصحاب مروان، فأمر بضرب عنقه، فلما رُفِع السيف؛ ليُضرَب به ضرط الشامي، فوقع العمود بين يدي الغلام، ونفرت دابة عبد الله،

---

(١) انظر البداية والنهاية (١٠ / ١٣١).
(٢) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٤).

فضحك وقال: اذهب؛ فأنت عتيق استك. فالتفت إليه، وقال: أصلح اللهّ الأمير! هل رأيت ضرطة قطّ أنجت من الموت غير هذه؟ قال: لا، قال: هذا واللهّ الإدبار. قال: وكيف ذاك؟ قال: ما ظنك بنا، وكنا ندفع الموت بأسنّتنا، فصرنا ندفعه اليوم بأستاهنا[١].

قبة الديباج

قالت خالدة بنت هاشم بن عبد مناف لأخ لها، وقد سمعته يتجهم صديقاً له: أي أخي، لا تطلع من الكلام إلا ما قد رويت فيه قبل ذلك ومن أجبته بالحلم وداويته بالرفق فإن ذلك أشبه بك، فسمعها أبوها هاشم فقام إليها فاعتنقها وقبلها وقال: واهاً لك يا قبة الديباج، فلقبت بذلك[٢].

حلم المأمون

وقف رجل بين يديه فقال له المأمون: والله لأقتلنك.

فقال: يا أمير المؤمنين تأن علي فإن الرفق نصف العفو، فقال: ويلك ويحك! قد حلفت لأقتلنك، فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن تلق الله حانثا خير من أن تلقاه قاتلا. فعفا عنه.

وكان يقول: ليت أهل الجرائم يعرفون أن مذهبي العفو حتى يذهب الخوف عنهم ويدخل السرور إلى قلوبهم.

وأنشد الحسن بن رجاء في المأمون يقول:

صفوح عن الإجرام حتى كأنه ... من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي أن يكون به الأذى ... إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما[٣]

---

(١) انظر عيون الأخبار (١ / ٤١).
(٢) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٥).
(٣) انظر البداية والنهاية (١٠ / ٣٠٤).



المأمون وعمه إبراهيم بن المهدي

قال الواقدي: كان إبراهيم بن المهدي ادعى لنفسه الخلافة بالري، وأقام مالكها سنة وأحد عشر شهراً واثني عشر يوماً وله أخبار كثيرة.

فمما حكاه قال: لما دخل المأمون الري في طلبي أثقل علي الطلب، وجعل لمن دل علي وأتاه بي مائة ألف درهم، فخفت على نفسي، وتحيرت في أمري، فخرجت من داري وقت الظهر، وكان يوماً صائفاً، وما أدري أين أتوجه، فمررت بزقاق لا ينفذ، فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون، وخفت إن رجعت على أثري يعلموا بي فرأيت في صدر الزقاق عبداً أسود قائماً على باب داره، فتقدمت إليه، وقلت له: عندك موضع أقيم فيه ساعة من النهار؟ قال: نعم، وفتح الباب، فدخلت إلى بيت نظيف فيه حصر نظيفة، وبسط ومخدات جلد، ثم إنه أغلق الباب علي ومضى، فخفت أن يكون سمع الجعالة في حقي، وأنه عرفني ومضى ليدلهم علي، فبقيت مثل الحبة في المقلاة قلقاً ميتاً من الخوف، فبينما أنا كذلك، إذ أقبل ومعه حمال حامل كل ما أحتاج إليه من لحم، وخبز وقدر جديدة وجرة وكيزان جدد، ثم التفت إلي وقال: جعلني الله فداك! أنا رجل حجام، وأنا أعرف أنك تنفر مني لما أتولاه من معيشتي، فشأنك بما لم تقع عليه يدي. وكان لي حاجة إلى الطعام فقمت وطبخت قدراً ما ظننت أني أكلت مثلها قدراً، فلما قضيت أربي، قال لي: هل لك أن تشرب شيئاً، فإنه يسلي الهم ويزيل الغم، ويمهد للنفس الفرح؟ قلت: ما أكره ذلك، رغبة في مؤآنسته. فأتى بقطرميز جديد وأحضر لي بقلاً وفاكهة في أوان جدد من فخار، ثم قال بعد ذلك: إن أذنت لي، جعلت فداك أن أقعد بناحية منك، وآتي بشراب فأشرب مسروراً بك. فقلت: افعل. ففعل وشرب ثلاثاً، ثم دخل إلى خزانة له: فأخرج عوداً

مصلحاً، ثم قال: يا سيدي ليس من قدري أن أسألك أن تغني، ولكن قد وجب على مروءتك حرمتي، فإن رأيت أن تشرَّف عبدك بأن تغني لنفسك والعبد يسمع فافعل. فقلت له: ومن أين لك أني أحسن الغناء؟ فقال متعجباً: سبحان الله! أنت أشهر من ذلك، أنت إبراهيم بن المهدي خليفتنا بالأمس الذي جعل المأمون لمن يدل عليك مائة ألف درهم. فلما قال ذلك عظمت مروءته عندي، وعلمت أن نخوته أجل مما بذل، فتناولت العود فأصلحته، وقد مر بخاطري ذكر أهلي وولدي، فقلت:

وعسى الذي أهدى ليوسف أهله … وأعزه في السجن وهو غريب

أن يستجيب لنا فيجمع شملنا … فالله رب العالمين قريب

فقال: يا سيدي اجعل ما تغنيه مما أقتضيك به. قلت: نعم. فقال: غن لي:

إن الذي عقد الذي انعقدت به … عقد المكاره، فهو يملك حلها

فاصبر، فإن الله يعقب راحةً … فلعلها أن تنجلي، فلعلها

فحسن عندي اقتراحه وشربت، ثم قال لي: غن لي:

وراء مضيق الخوف متسع الأمن … وأول مفروح به آخر الحزن

فلا تيأسن فالله ملك يوسفاً … خزائنه بعد الخلاص من السجن

ففرح وشرب وشربت، وقال: غن لي:

إذا الحادثات بلغن النهى … وكادت لهن تذوب المهج

وحل البلاء وقلّ العزاء … فعند التناهي يكون الفرج

وغنيته وحسن في نفسي اقتضاؤه، وأنست به، واستظرفته، ثم قال: إن رأيت يا سيدي أن تأذن لي أن أغني ما خطر ببالي، وإن كنت من غير أهل الصناعة؟ فقلت: يكون ذلك زيادةً في أدبك ومروءتك.

فأخذ العود، ثم قال: دستور، ثم ضرب عليه، وغنى يقول:

شـــكونا إلى أحبابنـــا طـــول ليلنـــا ... فقـالوا لنـا: مـا أقصـــر الليـل عنـدنا
وذاك لأن النـــوم يغشـــى عيـــونهم ... سريعـاً ولا يغشــى لنـا النـوم أعينـا
إذا ما دنـا الليـل المضـــر بـذي الهوى ... جزعنـا، وهـم يستبشــرون إذا دنـا
فلـو أنهـم كـانوا يلاقـون مثـل مـا ... نلاقــي لكــانوا في المضــاجع مثلنــا

فقلت: والله ذهب عني كل ما كان عندي من الفزع، وسألته أن يغني، فغنى يقول:

تعيرنـــا أنــــا قليـــلٌ عديـــدنا ... فقلـــت لهــا: إن الكـــرام قليـــل
ومـــا ضرنـــا أنـــا قليـــل وجارنـــا ... عزيـــز، وجـــار الأكثـــرين ذليـــل
وإنـا لقـــوم لا نـــرى المـــوت سـبةً ... إذا مــــا رأتــــه عـــــامرٌ وســـلول
يقـــرب حــب المـــوت آجالنـــا لنـــا ... وتكرهــــــه آجـــــالهم فتطـــــول

فوالله لقد أجاد وذهب عني كل ما كان من الفزع والجزع، واستأنست به وأخذني من الطرب ما لا مزيد عليه، وعاجلني النوم قبل أوانه فنمت، ولم أستيقظ إلا بعد المغرب، وجال فكري في هذا الحجام وأدبه وظرفه، وكيف غناؤه وأدبه وإرادته أن يسليني عما أنا فيه إشارة إلى تخصيصه بالوفاء لضيفه ونصره لجاره، فقعدت وغسلت وجهي ويقظته، وأخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير ومصاغ لها قيمة فدفعتها إليه، وقلت له: أنت في وداعة الله وحفظه فإني ماض عنك، وأسألك أن تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهماتك، ولك عندي إذا أمنت المزيد، فأعادها علي مبادراً وقال: يا سيدي! الصعلوك لا قيمة له عند أهل الرياسات، ويظنون فيه الظنون الرديئة، أفآخذ على ما وهبني الله من قربك وحلولك في منزلي ثمناً؟ لا والله، فألححت عليه، فأخذ موسى بيده وقال: والله إن راجعتني لأنحرن نفسي، فخشيت

عليه وأخذت الخريطة وأثقلني حملها، فلما انتهيت إلى باب الدار، قال: يا سيدي إن هذا الموضع أخفى لك من غيره، وليس عندي في مؤنتك ثقلة، فأقم عندي إلى أن يفرج الله عنك. فرجعت وسألته أن يكون منفقاً من تلك الخريطة فلم يفعل، وكان كل يوم يفعل بي مثل ما فعل في اليوم الأول قال: فأقمت أياماً في أطيب عيش وأهناه، ثم سئمت من الإقامة عنده وخشيت الثقل عليه، فتركني ومضى يجدد لنا حالنا، فلبست ثيابي وتزينت بزي النساء بالخف والنقاب، وخرجت. فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف والفزع أمر شديد ومشيت لأعبر الجسر، وإذا هو قد رش، ورجل قائم فأبصرني بعض من كان في خدمتي من الجند فتعلق بي وقال: طلبة أمير المؤمنين، فدفعته في صدره فوقع في الزلق، وصار عبرة وتبادر الناس إليه، فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر، ودخلت زقاقاً فوجدت باباً وامرأة واقفة فيه، فقلت: يا سيدة النساء، احقني دمي فإني رجل خائف. فقالت: ادخل، فدخلت فأطلعتني إلى غرفة، وفرشت لي وقدمت لي طعاماً. وقالت: ليهدأ روعك فإنه لا يعلم بك مخلوق، ولو أقمت سنة ما عليك بأس، وإذا بالباب يدق، فخرجت وفتحت الباب، فإذا هو صاحبي الذي دفعته على الجسر، وهو مشدوخ الرأس ودمه يسيل على ثيابه، فقالت له ما دهاك؟ قال: إن حديثي عجيب وأمري غريب ظفرت بالفتى وانفلت من يدي.قالت: وكيف؟ قال: إبراهيم بن المهدي لقيته فتعلقت به، فدفعني، فأصابني ما ترين من حالي ولو حملته إلى أمير المؤمنين لأخذت منه مائة ألف درهم.

قال: فأخرجت له حراقاً وذروراً، وفرشت له بعد كبس جرحه فنام قليلاً، وطلعت وقالت لي: أظنك صاحب القصة؟ قلت: نعم. فقالت لي: إني خائفة عليك، ثم جددت لي الكرامة وأقمت عندها ثلاثة أيام، ثم قالت لي: إني خائفة عليك من هذا

الرجل؛ لئلا يطلع على أمرك فينم عليك فانج بنفسك.

فسألتها إمهالي إلى الليل. فلما دخل لبست زي النساء وخرجت من عندها، وأتيت إلى بيت مولاة لنا، فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله تعالى على سلامتي، وخرجت كأنها تريد كرامتي، فتوجهت للسوق مظهرة الاهتمام للضيافة، فظننت خيراً، فلم أشعر إلا بإبراهيم الموصلي بخيله ورجاله، والمولاة معه حتى سلمتني إليه، فرأيت الموت عياناً، وحملت مثل ما أنا إلى أمير المؤمنين، فجلس مجلساً عاماً، وأمر بإدخالي عليه، فلما مثلت بين يديه سلمت عليه سلام الخلافة، فقال: لا سلمك الله، ولا حفظك ولا رعاك.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن ولي الثأر محكَّم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن تناولته يد الأقدار ربما مد له من أسباب الرجاء ما يأمن معه عادية الدهر، وقد جعلك الله فوق خلقه، وأصبح عفوك فوق كل ذي عفو، فإن تأخذ فبحقك، وإن تعف فبفضل، وأنشدت أقول:

ذنبـــــي إليـــــك عظــــــيم — وأنـــــت أعظـــــم منـــــه
فخـــــــــذ بحقـــــــك أولا — واصـــــفح بحلمـــــك عنـــــه
إن لم أكـــــــن في فعـــــالي — مـــــن الكــــــرام فكنـــــه

قال: فرفع رأسه إلي، فقلت مبتدراً:

أتيــــــت ذنبــــــاً عظـــــيماً — وأنـــــت للعفـــــو أهـــــل
فــــإن عفــــوت فمــــنٌّ — وإن جزيــــــت فعــــدل

قال: فرق المأمون واسترجع فرأيت روائح الرحمة في شمائله، ثم أقبل على أخيه أبي إسحاق محمد المعتصم وابنه العباس وجميع من حضر من خاصته، وقال: ما ترون في

أمره؟ فأشار الكل بقتلي، إلا أنهم اختلفوا في القتل، فقال المأمون لأحمد بن أبي خالد: ما تقول يا أحمد؟ فقال: يا أمير المؤمنين! إن قتلته فقد وجدنا مثلك قتل مثله، وإن عفوت لم نجد مثلك في العفو.

فنكس المأمون رأسه إلى الأرض، وجعل يخط في الأرض بإصبعه، ثم رفع رأسه وقال:

قومي همو قتلوا أميم أخي | فإذا رميت يصيبني سهمي

ثم قال المأمون: لا بأس عليك يا عم.

فقلت: ذنبي يا أمير المؤمنين أعظم من أن أفوه معه بعذر، وعفوك أعظم من أن أنطق معه بشكر، ولكن أقول:

إن الذي خلق المكارم حازها | في صلب آدم للإمام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابةً | وتظل تكلؤهم بقلبٍ خاشع
ما إن عصيتك والغواة تمدني | أسبابها إلا بنيةِ طائع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله | عفو، ولم يشفع إليك بشافع
ورحمت أشباحاً كأفراخ القطا | وحنين والدةٍ بقلب جازع

فقال المأمون: لا تثريب اليوم عليك، قد عفوت عنك، ورددت عليك مالك وضياعك، فأنشدت أقول:

رددت مالي ولم تبخل علي به | وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
أمنت منك وقد خولتني نعماً | نعم الحياتان من موت ومن عدم
فلو بذلت دمي أبغي رضاك به | والمال حتى أسل النعل من قدمي
وإن جحدتك ما وليت من نعم | إني إلى اللؤم أولى منك بالكرم

فقال المأمون: إن من الكلام كلاماً كالدر، وهذا منه، وأمر لي بمالي وخلع علي، وقال: يا عم إن أبا إسحاق والعباس أشارا بقتلك.

فقلت: إنهما نصحاك يا أمير المؤمنين، ولكن فعلت ما أنت أهله، ودفعت ما خفت أنا بما رجوت.

فقال المأمون: لقد مات حقدي بحياة عذرك، وقد عفوت عنك.

ثم سجد المأمون طويلاً، ثم رفع رأسه، ثم قال: يا عم أتدري لم سجدت؟ قلت له: شكراً لله تعالى على ما أوقعك علي وملكك إياي تفعل بي ما تشاء.

فقال: أخطأت! ولكن أشكر الله تعالى على ما ألهمني من العفو عنك من قبل نفسي، ثم قال: وأعظم من عفوي عنك أنني لم أجرعك مرارة امتنان الشافعين، فحدثني بما كان من أمرك.

فشرحت له ما جرى لي مع الحجام، والجندي وزوجته والمولاة التي أسلمتني، فأمر المأمون بإحضارها، وهي في دارها تنتظر الجائزة، فلما حضرت قال لها المأمون: ما حملك على ما فعلت تسليمك إبراهيم مع إنعامه عليك؟ قالت: رغبة في المال.

قال هل لك من ولد أو زوج؟ قالت: لا، فأمر بضربها مائة سوط وأمر بتخليدها في السجن، ثم أحضر الجندي وامرأته والحجام، فسأل الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل؟ قال: رغبة في المال.

فقال: إنك أولى في أن تكون حجاماً من أن تكون خداماً، ووكل من يلزمه الجلوس في مكان الحجام، ليتعلم الحجامة، وأحسن إلى امرأته، وجعلها قهرمانة قصره وقال: هذه امرأة أديبة تصلح للمهمات، وسلم للحجام دار الجندي وما فيها، وخلع عليه وأثبته برزقه في الديوان، وزيادة ألف دينار في كل سنة، ولم يزل كذلك إلى

أن مات، والله أعلم[١].

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى[٢]:

إن حلم الملوك والولاة أجمع لأمرهم وطاعة الناس لهم وتأليفهم لقلوب الناس وكان معاوية من أحلم الناس، وكان المأمون حليما حتى كان يقول: لو علم الناس محبتي في العفو تقربوا إلي بالذنوب ولهذا لما قدر على من نازعه في الملك -وهو عمه إبراهيم بن المهدي- عفا عنه.

أحمد بن عروة بين يدي المأمون

وقف أحمد بن عروة بين يدي المأمون لما عزله عن الأهواز، فقال له: خربت البلاد، وقتلت العباد، والله لأفعلن بك ولأفعلن، قال: يا أمير المؤمنين ما تحب أن يفعل الله بك إذا وقفت بين يديه وقد قرعك بذنوبك؟ قال: العفو والصفح، قال: يا أمير المؤمنين، فافعل بعبدك ما تحب أن يفعل بك مولاك، قال: قد فعلت، ارجع فوالٍ مستعطف خير من والٍ مستأنف[٣].

المأمون والفضل بن الربيع

قال المأمون للفضل بن الربيع: يا فضل، أكان حقي عليك وحق آبائي ونعمهم عند أبيك، وعندك أن تثلبني وتشتمني وتحرض على دمي؟ أتحب أن أفعل بك مع القدرة ما أردت أن تفعله بي مع العجز؟ فقال الفضل: يا أمير المؤمنين، إن عذري يحقدك إذا كان واضحاً جميلاً، فكيف إذا غيبته العيوب وقبحته الذنوب؟ فلا يضق عني من عفوك ما وسع غيري من حلمك، فأنت والله كما قال الشاعر:

صفوح عن الاجرام حتى كأنه ... من العفو لم يعرف من الناس مجرما

(١) انظر إعلام الناس بما وقع للبرامكة (١ / ٩٩).
(٢) مجموع الفتاوى (١٧ / ٢٤).
(٣) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٨).

وليس يبالي أن يكون به الأذى ... إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما[١]

صالح بن الرشيد والمأمون

قال عمرو بن بانة: كنت عند صالح بن الرشيد، فقال لي: لست تطرح على جواري وغلماني من الغناء ما أستجيده، فبعثت إلى منزلي فجئته بدفاتر الغناء ليختار منها ما يرضيه، فأخذ دفتراً منها فتصفحه فمر به شعر للحسين ابن الضحاك يرثي الأمين ويهجو المأمون وهو:

أَطِلْ جزعاً وابك الإمام محمدا ... بحزن وإن خفت الحسام المهندا
فلا تمت الأشياء بعد محمد ... ولا زال شمل الملك عنه مبددا
ولا فرح المأمون بالملك بعده ... ولا زال في الدنيا طريداً مشردا

فقال لي صالح: أنت تعلم أن المأمون يجيء إلي في كل ساعة، فإذا قرأ هذا ما تراه يكون فاعلاً؟ فدعا بسكين وجعل يحكه، وصعد المأمون من الدرجة، فرمى صالح بالدفتر، فقال المأمون: يا غلام الدفتر، فأتي به فنظر فيه ووقف على الحك وقال: إن قلت لكم ما كنتم فيه تصدقوني؟ قلنا: نعم. قال: ينبغي أن يكون أخي قال لك: ابعث بدفاترك؛ ليتخير ما يطرحه على الجواري، فوقف على هذا الشعر فكره أن أراه فأمر بحكه، قلنا: كذا كان، قال: غنه يا عمرو، فقلت: يا أمير المؤمنين: الشعر للحسين بن الضحاك والغناء لسعيد بن جابر، فقال: وما يكون؟ غنه، فغنيته، فقال اردده، فرددته ثلاث مرات، فأمر لي بثلاثين ألف درهم وقال: حتى تعلم أنه لم يضرك عندي.

قال ابن أبي دواد: سمعت المأمون يقول لرجل: إنما هو عذر أو يمين، وقد وهبتهما لك، فلا تزال تسيء وأحسن، وتذنب وأعفو، حتى يكون العفو هو الذي يصلحك[٢].

---

(١) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٨).
(٢) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٥).

المسدود والواثق

قال حمدون بن إسماعيل: ما كان في الخلفاء أحلم من الواثق ولا أصبر على أذى وخلاف، وكان يعجبه غناء أبي حشيشة الطنبوري، فوجد المسدود الطنبوري من ذلك، فكان يبلغه عنه ما يكره فيتجاوز، وكان المسدود قد هجاه ببيتين كانا معه في رقعته، وفي رقعة أخرى حاجة له يريد أن يرفعها إليه، فناوله رقعة الشعر وهو يرى أنها رقعة الحاجة، فقرأها الواثق فإذا فيها:

مـــــن المســــــدود في الأنــــف ... إلى المســـــــــدود في العــــــين

أنــــا طبــــل لـــــه شـــــق ... فيــــا طـــــبلاً بشـــــقين

وكانت في عين الواثق نكتة، فلما قرأ الرقعة علم أنها فيه، فقال للمسدود: غلطت بين الرقعتين فاحذر أن يقع مثل هذا عليك، فما زاده على هذا القول شيئاً ولا تغير له عما كان عليه.

وكان الواثق يتشبه بالمأمون في أخلاقه وحلمه، ويسمى المأمون الصغير، وهو رباه دون أبيه وخرجه فتقبل أفعاله وكاد ولم يبلغ[(١)].

ثمال بن صالح معز الدولة، صاحب حلب، كان حليما كريما وقورا

ذكر ابن الجوزي: أن الفراش تقدم إليه ليغسل يده فصدمت بلبلة الإبريق ثنيته فسقطت في الطست، فعفا عنه[(٢)].

من حلم عبد الملك بن مروان

لما أتي عبد الملك بن مروان بأسرى بني الأشعث قال لرجاء بن حيوة: ما ترى؟ قال: إن الله أعطاك ما تحب من الظفر فأعطه ما يحب من العفو فعفا عنهم[(٣)].

---

(١) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٥).
(٢) انظر البداية والنهاية (١٢ / ١٠٨).
(٣) انظر الجوهر النفيس في سياسة الرئيس (١ / ١٣٩).

[قلت]: رجاء بن حيوة من علماء الإسلام، وهذه من ثمار البطانة الصالحة للرؤساء والملوك.

وكتب الحجاج إلى عبد الملك: يا أمير المؤمنين، إنك أعز ما تكون أحوج ما تكون إلى الله ﷻ، وإذا عززت بالله فاعفُ لله، فإنك به تعز وإليه ترجع.

[قلت]: حال الحجاج كما قيل:

اعمل بقولي وإن قصرت في عملي ينفعك قولي ولا يضرك تقصيري

كلمة لعبد الملك بن مروان

قال عبد الملك بن مروان: "أنصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر! ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر! نسأل اللهّ أن يعين كلاً على كل"[1].

من حلم سليمان بن عبد الملك

غضب سليمان بن عبد الملك على خالد بن عبد الله القسري فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين إن القدرة تذهب الحفيظة، وإنك تجل عن العقوبة، فإن تعف فأهل ذلك أنت، وإن تعاقب فبما كان منا[2].

من حلم أبي مسلم الخراساني

قال بعض المشايخ: جرى بين شهرام المروزي وبين أبي مسلم الخراساني كلام شديد فما زال أبو مسلم يقاوله إلى أن قال له شهرام بالغيظ: كذبت، فلما قال له ذلك صمت أبو مسلم وندم شهرام، وأقبل عليه معتذراً، وخاضعاً متذللاً، فلما رأى ذلك أبو مسلم قال: لسان سبق، ووهم أخطأ، وإنما الغضب شيطان وأنا جرأتك بطول

(١) انظر عيون الأخبار (١ / ٤).
(٢) انظر الجوهر النفيس في سياسة الرئيس (١ / ١٤٠).

احتمالي إياك، وإن كنت متعمداً فقد شاركتك فيه، وإن كنت مغلوباً فالعذر يسعك، وقد عفونا عنك على كل حال، فقال شهرام: أيها الأمير إن عفوك لا يكون غدراً، قال: أجل قال: فإن عظم ذنبي لا يدع قلبي يسكن، ولج في الاعتذار، فقال أبو مسلم: يا عجبي كنت تسيء وأنا أحسن، فإذا أحسنت أسيء؟![1].

حلم النعمان بن المنذر

ومن ذلك أن النعمان بن المنذر خرج يتصيد على فرسه اليَحْمُوم، فأجراه على أَثَر عَيْر، فذهب به الفرس في الأرض، ولم يقدر عليه، وانفرد عن أصحابه، وأخذته السماء، فطلب مَلْجأ يلجأ إليه، فدُفِع إلى بناء، فإذا فيه رجل من طيء يقال له: حَنْظَلَة، ومعه امرأة له، فقال لهما: هل من مَأْوًى؟ فقال حنظلة: نعم. فخرج إليه، فأنزله، ولم يكن للطائي غير شاة، وهو لا يعرف النعمان، فقال لامرأته: أرى رجلاً ذا هيئة وما أخْلَقَه أن يكون شريفاً خطيراً، فما الحيلة؟ قالت: عندي شيء من طَحين كنت ادّخرته، فاذبح الشاةَ؛ لأتخذ من الطحين مَلَّة، قال: فأخرجت المرأة الدقيق، فخبزت منه مَلَّة، وقام الطائيّ إلى شاته فاحتلبها، ثم ذبحها، فاتخذ من لحمها مَرَقة مَضِيرة، وأطعمه من لحمها وسقاه من لبنها، واحتال له شراباً فسقاه، وجعل يُحدثه بقية ليلته، فلما أصبح النعمان لبس ثيابه، وركب فرسه، ثم قال: يا أخا طيء اطلب ثَوَابك أنا الملك النعمان قال: أفعل إن شاء الله، ثم لحق الخيل، فمضى نحو الحِيرة، ومكث الطائي بعد ذلك زماناً حتى أصابته نَكْبة، وجَهْد، وساءت حاله، فقالت له امرأته: لو أتيتَ الملك؛ لأحسن إليك، فأقبَل حتى انتهى إلى الحِيرَة، فوافق يومَ بؤس النعمان، فإذا هو واقف في خَيْله في السلاح، فلما نظر إليه النعمان عرفه وساءه مكانه، فوقف

(١) انظر الجوهر النفيس في سياسة الرئيس (١ / ١٤٣).

الطائيّ المنزولُ به بين يدي النعمان، فقال له: أنت الطائيّ المنزول به؟ قال: نعم.

قال: أفلا جِئْتَ في غير هذا اليوم؟ قال: أَبَيْتَ اللعن وما كان علمي بهذا اليوم؟ قال: والله لو سَنَحَ لي في هذا اليوم قابوسُ ابني لم أجد بُدّا من قتله، فاطلب حاجَتَكَ من الدنيا، وسَلْ ما بدا لك، فإنك مقتول، قال: أَبَيْتَ اللعنَ، وما أصنع بالدنيا بعد نفسي. قال النعمان: إنه لا سبيل إليها، قال: فإن كان لا بدّ، فأَجِّلْني حتى أُلِمَّ بأهلي، فأوصي إليهم، وأهيئ حالهم، ثم أنصرف إليك، قال النعمان: فأقم لي كَفيلاً بموافاتك فالتفت الطائي إلى شريك بن عمرو بن قيس من بني شيبان، وكان يكنى أبا الحَوْفَزَان، وكان صاحب الردافة، وهو واقف بجنب النعمان، فقال له:

يا شريكاً يا ابن عمرو ... هل من الموت مَحَالة

يا أخا كل مُضَافٍ ... يا أخا مَنْ لا أخا له

يا أخا النعمان فُكَّ الـ ... ـيوم ضَيْفاً قد أتى له

طالما عالج كرب الـ ... ـموت لا ينعم باله

فأبى شريك أن يتكفل به، فوثب إليه رجل من كلب، يقال له قُرَاد بن أجْدَع، فقال للنعمان: أبيت اللَّعْن هو عليّ، قال النعمان: أفعلت؟ قال: نعم، فضمّنه إياه، ثم أمر للطائي بخمسمائة ناقة، فمضى الطائيّ إلى أهله وجَعَلَ الأجَلَ حولا من يومه ذلك إلى مثل ذلك اليوم من قابل، فلما حال عليه الحولُ، وبقي من الأجل يوم، قال النعمان لقُرَاد: ما أراك إلا هالكاً غداً، فقال قُرَاد:

فإن يَكُ صَدْرُ هذا اليوم وَلّى ... فإنَّ غَداً لناظرِهِ قَريبُ

فلما أصبح النعمان ركب في خيله ورَجْله متسلحاً كما كان يفعل حتى أتى الغَرِيَّيْنِ، فوقف بينهما، وأخرج معه قُرَادا، وأمر بقتله، فقال له وزراؤه: ليس لك أن تقتله حتى

يستوفي يومه، فتركه، وكان النعمان يشتهي أن يقتل قُرَادا؛ ليُفْلَتَ الطائي من القتل، فلما كادت الشمس تَجِبُ، وقُرَاد قائم، مُجَرَّد في إزار على النِّطَع والسيافُ إلى جنبه أقبلت امرأته، وهي تقول:

أيا عَيْنُ بكِّي لي قُرَاد بن أجْدَعَا ... رَهينا لقَتْلٍ لا رهينا مُوَدّعا

أتته المنايا بَغْتَةً دون قومه ... فأمسى أسيراً حاضر البَيْتِ أضْرَعَا

فبينا هم كذلك إذ رفع لهم شخص من بعيد، وقد أمر النعمان بقتل قراد، فقيل له: ليس لك أن تقتله، حتى يأتيك الشخص، فتعلم من هو، فكفَّ حتى انتهى إليهم الرجلُ، فإذا هو الطائي، فلما نظر إليه النعمان شَقَّ عليه مجيؤه، فقال له: ما حملك على الرجوع بعدَ إفلاتك من القتل؟ قال: الوفاء قال: وما دَعَاك إلى الوفاء؟ قال: دِينِي، قال النعمان: فاعْرِضْه عليّ فعرضه عليه فتنصر النعمان، وأهلُ الحِيرة أجمعون، وكان قبل ذلك على دين العرب، فترك القتلَ منذ ذلك اليوم، وأبطل تلك السُّنَّة، وأمر بهدم الغَرِيّيْن، وعفا عن قُرَاد والطائي، وقال: والله ما أدري أيهما أوفى وأكرم؟ أهذا الذي نجا من القتل فعاد، أم هذا الذي ضمنه؟ والله لا أكون ألأمَ الثلاثة، فأنشد الطائيّ يقول:

ما كُنْتُ أُخْلِفُ ظنه بعد الذي ... أسْدَى إليّ من الفَعَال الخالي

ولقد دَعَتْنِي للخلاف ضَلاَلتي ... فأبَيْتُ غيرَ تمجُّدِي وفعالي

إني امرؤ منِّي الوفاءُ سَجِية ... وجزاء كل مُكَرَّمٍ بَذَّالِ

وقال أيضاً يمدح قُرَادا:

ألا إنما يسمو إلى المجد والعُلا ... مَخَارِيقُ أمثال القُرَاد بْنِ أجْدَعَا

مخاريقُ أمثال القراد وأهله ... فإنهمُ الأخيار من رَهْطِ تبعا[1]

(١) انظر مجمع الأمثال (١ / ٧٠).

وخرج النعمان بن المنذر في غبٍّ سماء، فمرّ برجل من بني يشكر جالساً على غدير ماء، فقال له: أتعرف النعمان؟ قال اليشكري: أليس ابن سلمى؟ قال: نعم. قال: واللهّ لربما أمررت يدي على فرجه.

قال له: ويحك، النعمان بن المنذر! قال: قد خبرتك. فما انقضى كلامه حتى لحقته الخيل، وحيّوه بتحية الملك. فقال له: كيف قلت؟ قال: أبيت اللعن، إنك واللهّ ما رأيت شيخاً أكذب، ولا ألأم، ولا أوضع ولا أعضّ ببظر أمه، من شيخ بين يديك. فقال النعمان: دعوه[1].

وقال هشام بن محمد: أتى النعمان بن المنذر برجلين: أحدهما قد أذنب ذنباً عظيماً فعفا عنه، والآخر قد أذنب ذنباً صغيراً فعاقبه وقال:

تعفو الملوك عن العظيم ... من الذنوب لفضلها

ولقد تعاقب في اليسير ... وليس ذاك لجهلها

إلا ليعرف حلمها ... ويخاف شدة نكلها[2]

[قلت]: عجب وأي عجب ذهب حلم العرب، وخلفه وثوب الوحوش، وطعن الحِرَب، وضيق الصدور والقلوب، حتى صارت أضيق من سم الخياط، فلقد عفا حبًّا في العفو وكرماً ومجداً، لايرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً. فكيف حالنا معشر المسلمين؟! وربنا قد وعدنا إن عفونا بعفوه وفضله وكرمه، وجوده وإحسانه وثوابه، ومغفرته وجنته.

لعل الله تعالى أن يرزقني الحج على يديك.

قال رجل لرجل: إن لطمتك لطمة لأبلغن بك المدينة. فقال له: فأحب أن تردفها

(١) انظر عيون الأخبار (١ / ٤١).
(٢) انظر الجوهر النفيس في سياسة الرئيس (١ / ١٤٣).

بأخرى؛ لعل الله تعالى أن يرزقني الحج على يديك[١].

ما أمكنك اللّه مني إلا لشأن حلمك

ظفر رجل بخصمه في حرب، فقال له: ما تراني أصنع بك؟ فقال: مهلاً فما أمكنك الله مني إلا لشأن حلمك[٢].

حلم الوجيه النحوي

كان الوجيه لا يغضب قط، فتراهن جماعة مع واحد أنه إن أغضبه كان له كذا وكذا، فجاء إليه فسأله عن مسألة في العربية فأجابه فيها بالجواب، فقال له السائل: أخطأت أيها الشيخ، فأعاد عليه الجواب بعبارة أخرى، فقال: كذبت وما أراك إلا قد نسيت النحو، فقال الوجيه: أيها الرجل فلعلك لم تفهم ما أقول لك، فقال: بلى ولكنك تخطئ في الجواب، فقال له: فقل أنت ما عندك لنستفيد منك، فأغلظ له السائل في القول فتبسم ضاحكا، وقال له: إن كنت راهنت فقد غلبت، وإنما مثلك مثل البعوضة -يعني الناموسة- سقطت على ظهر الفيل، فلما أرادت أن تطير قالت له استمسك فإني أحب أن أطير، فقال لها الفيل: ما أحسست بك حين سقطت، فما أحتاج أن أستمسك إذا طرت[٣].

يوسف بن محمد بن عبيد اللّه

القاضي صلاح الدين كاتب الدرج السلطاني بالقاهرة.

كان كاتباً مأموناً، اعتمد عليه القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر ومن بعده. ولم يزل مقدّماً عند كاتبي السر واحداً بعد واحد إلى آخر أيام القاضي علاء الدين بن الأثير، وكان يستكتبه في المهمات، وكان يلازم الديوان، تطلع الشمس وتغرب عليه

---

(١) انظر الأذكياء (١ / ٧٠).
(٢) انظر الأذكياء (١ / ٦٥).
(٣) انظر البداية والنهاية (١٣ / ٨٤).

وهو في الديوان، أقام كاتب درج مقدار خمس وخمسين سنة.وكان ساكناً خيّراً، ليس فيه شر البتة، محتملاً أذى رفاقه، رأيتهم وهم يسبونه في وجهه، ولا يرد عليهم، خصوصاً القاضي قطب الدين بن المكرم، كان يقول له: لعن الله والديك يا كلب يا ابن الكلب، يا عبد النّحس يا ابن الأمة، ولا يردّ عليه حرفاً[(١)].

عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص وقوله: على الحلم دعني قد تداركني عقلي

عن جعفر بن عمرو أبي عمر العمري قال: مر عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بناس من بني جمح، فنالوا منه، فبلغه ذلك، فمر بهم وهم جلوس، فقال: يا بني جمح قد بلغني شتمكم إياي، وانتهاككم ما حرم الله، وقديما شتم اللئام الكرام، فأبغضوهم، وأيم الله ما يمنعني منكم إلا شعر عرض لي، فذلك الذي حجزني عنكم، فقال رجل منهم: وما الشعر الذي نهاك عن شتمنا؟ فقال:

والله مـا عطفا عليكم تركتكم ... ولكنني أكرمت نفسي عن الجهل

نأوت بها عنكم وقلت لعاذلي ... على الحلم دعني قد تداركني عقلي

وجللني شيب القذال ومن يشب ... يكن قمنا من أن يضيق عن العذل

وقلت لعل القوم أخطأ رأيهم ... فقالوا وخالوا الوعث كالمنهج السهل

فمهلا أريحوا الحلم بيني وبينكم ... بني جمح لا تشربوا أكدر الضحل[(٢)]

من حلم مالك بن دينار

عن حسان بن يسار قال: كنا عند مالك بن دينار، فجاء رجل من بني ناحية، فقال: يا أبا يحيى ذكر لي أنك ذكرتني بسوء؟ قال: أنت إذن أكرم علي من نفسي.

وقال محمود الوراق:

---

(١) انظر أعيان العصر وأعوان النصر (٣/ ٨٠- ٨١).
(٢) انظر الحلم (١/ ٤٤).

أيـا مـن تـدعى شـتمي سـفاها — عجلـت عـلي خـيرا يـا أخيـا
أكسـيك الثـواب بينـت شـتمي — وأسـتدعي بـه إثـما إليـا
فأنـت إذن وقـد أصـبحت ضـدا — أعـز عـلي مـن نفسـي عليـا[(١)]

وقالت امرأة لمالك بن دينار: يا مرائي. فقال: ما عرفني غيرك.

فكأنه كان مشغولا بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه[(٢)].

مالك بن دينار واللص

قال سري: دخل لص على مالك بن دينار فما وجد في الدار شيئاً، ومالك يراه. فجاء ليخرج، فقال له مالك: سلام. قال: وعليكم السلام. قال: أعلم أن شيئاً من الدنيا ما حصل لك، ترغب في شيء من الآخرة؟ قال: نعم قال: تطهر من ذلك المركن، وصل ركعتين؛ فصلى. ثم قال: يا سيدي اجلس إلى الصبح؛ فجلس، فلما خرج مالك بن دينار إلى المسجد والرجل جالس معه قال أصحابه؛ من هذا؟ قال: هذا جاء يسرق سرقناه[(٣)].

حلم عمر بن ذر وقوله:لا أكافئ من عصى الله في بأكثر من أن أطيع الله فيه.

شتم رجلٌ عمر بن ذَرٍّ فقال له: إني أَمَتُّ مشاتمةَ الرجال صغيراً فلن أُحْيِيها كبيراً، وإني لا أكافي من عصى الله فيّ بأكثر من أن أطيع الله فيه[(٤)].

(١) انظر الحلم (١ / ٢٨).
(٢) انظر إحياء علوم الدين (٣/ ١٧١).
(٣) انظر مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٩٩).
(٤) انظر عيون الأخبار (١ / ١٢١).



حلم المتشمس بن معاوية

قال أبو اليقظان: كان المتشمس بن معاوية عم الأحنف يفضل في حلمه على الأحنف قبل، فأمره أبو موسى أن يقسم خيلاً في بني تميم فقسمها، فقال رجل من بني سعد: ما منعك أن تعطيني فرساً؟ ووثب عليه فمرش وجهه، فقام إليه قومه ليأخذوه، فقال. دعوني وإياه، إني لا أعان على واحد، ثم انطلق به إلى أبي موسى، فلما رآه أبو موسى سأله عما بوجهه فقال: دع هذا ولكن ابن عمي ساخط فاحمله على فرسٍ، ففعل[(١)].

حلم عروة بن الزبير

كان عروة بن الزبير إذا أسرع إليه رجل بشتمٍ أو قولٍ سيءٍ لم يجبه، وقال: إني أتركك رفعاً لنفسي عنك. فجرى بينه وبين عليّ بن عبد الله كلامٌ، فأسرع إليه، فقال له عليّ: خفض عليك أيها الرجل فإني أتركك اليوم لما كنت تترك له الناس[(٢)].

وقال عروة: رب كلمة ذل احتملتها أو رثتني عزا طويلا[(٣)].

حلم إبراهيم النخعي

عن الأعمش قال: كنت مع رجل فوقع في إبراهيم، فأتيت إبراهيم فأخبرته وقلت. والله لهممت به. فقال: لعل الذي غضبت له لو سمعه لم يقل شيئاً[(٤)].

حلم الشعبي

قال الأصمعي: أَسْمَعَ رَجُلٌ الشعبيَّ كلاما، فقال له الشعبي: إن كنت صادقا؛ فغفر الله لي، وإن كنت كاذبا؛ فغفر الله لك[(٥)].

---

(١) انظر عيون الأخبار (١ / ١٢١).
(٢) انظر رسائل في أبواب متفرقة (١ / ٢٠).
(٣) انظر البداية والنهاية (٩ / ١٢١).
(٤) انظر عيون الأخبار (١ / ١٢٣).
(٥) انظر المجالسة وجواهر العلم (٨ / ٢٧).

وأقبل الشعبي يوما، فإذا هو برجلين من قومه من وراء جدار قصير، قال فاستمع إليهما، فإذا هما يقعان فيه ويشتمانه وينتقصانه، حتى أكثرا، فلما أطالا أشرف عليهما الشعبي فقال:

هنيئا مريئا غير داء مخامر ... لعزة من أعراضنا ما استحلت

فقالا: والله يا أبا عمرو لا نقع فيك بعد اليوم.

قال بعضهم:

ولربما ابتسم الوقور من الأذى ... وضميره من حره يتأوه

ولربما خزن الحليم لسانه ... حذر الجواب وإنه لمفوه

إبراهيم التيمي

عن إبراهيم التيمي، قال: "إن الرجل ليظلمني فأرحمه"[١].

قتله الحجاج، وكان يطعمه الجمر بالرماد حتى قتله وما رئي رافعا رأسه إلى السماء قط[٢].

معاوية ووائل بن حجر

عن وائل بن حجر: أن رسول الله ﷺ أقطعه أرضا وأرسل معه معاوية: أن أعطها إياه فقال معاوية: أردفني خلفك، قال: لا تكن من أرداف الملوك، فقال: أعطني نعلك، فقال: انتعل ظل الناقة فلما استخلف معاوية أتيته فأقعدني معه على السرير وذكر لي الحديث قال: وددت أني كنت حملته بين يدي[٣].

من حلم داود بن علي بن عبد الله بن العباس

كان داود بن علي بن عبد الله بن العباس أديباً عاقلاً جميلاً جواداً فقيهاً عالماً، وكان بينه وبين رجل من آل أبي معيط كلام في دولة بني أمية، فقدم داود العراق على خالد

---

(١) شعب الإيمان (١٠ / ٤٢٥)
(٢) انظر المحن (١ / ٢٢١).
(٣) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه وحسنه الأرنؤوط.



بن عبد الله القسري، فلقيه المعيطي في بعض الطرق فأخذ بلجام بغلته ثم أسمعه ما يكره، وداود منصت حتى قضى كلامه، فقال له داود: فرغت من كلامك؟ قال: نعم، قال: أما لو كان خيراً ما سبقتني إليه[1].

من حلم علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي

كان من أحلم الناس بحيث يضرب به المثل، وكان نازلاً عند قاضي حماة ابن البارزي ﷺ، حكى لنا القاضي شرف الدين ابن البارزي: أنه تزوج بحماة، قال: وكانت زوجته تؤذيه وتشتمه، وهو يبتسم ويدعو لها.

وإن رجلاً راهن جماعةً على أن يحرجه، فقالوا: لا تقدر، فأتاه وهو يعظ وصاح، وقال: أنت كان أبوك يهودياً، وأسلم فنزل من الكرسي إليه، فاعتقد الرجل أنه غضب وأنه تم له ما رامه حتى وصل إليه، فقلع فرجيةً عليه وأعطاه إياها، وقال: بشرك الله بالخير الذي شهدت لأبي بأنه مات مسلماً[2].

محمد بن يزيد الأموي الحصني وعبد اللّه بن طاهر

لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بمآثر أبيه وقومه وقتلهم المخلوع، عارضه محمد بن يزيد الأموي الحصني، وهو من ولد مسلمة بن عبد الملك، فأفرط في السب وتجاوز الحد في قبح الرد، وتوسط بين القوم وبين بني هاشم فأربى في التوسط والتعصب، فكان فيما قال:

يـــا ابـــن بيـــت النـــار موقـــدها ... مـــــا لحاذيـــــه سراويـــــل

مـــن حســـين مـــن أبـــوك ومـــن ... مصــــعب غــــالتهم غــــول

نســــب عمــــرك مؤتشــــب ... وأبــــــوات أراذيــــــل

---

(١) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٤).

(٢) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٤٦ / ٣٣٧).

قاتـــــل المخلـــــوع مقتـــــول ودم المقتـــــــول مطلـــــــول

وهي قصيدة طويلة. فلما ولي عبد الله مصر ورد إليه تدبير الشام، علم الحصني أنه لا يفلت منه إن هرب، ولا ينجو من يده حيث حل، فثبت في موضعه، وأحرز حرمه، وترك أمواله ودوابه وكل ما يملكه في موضعه، وفتح باب حصنه وجلس عليه، وتوقع الناس من عبد الله بن طاهر أن يوقع به. قال محمد بن الفضل الخراساني: فلما شارفنا بلده وكنا على أن نصبحه دعاني عبد الله في الليل فقال لي: بت عندي وليكن فرسك معداً عندك لا يرد. فلما كان في السحر أمر أصحابه وغلمانه ألا يرحلوا حتى تطلع الشمس، وركب في السحر وأنا وخمسة من خواص غلمانه معه، فسار حتى صبح الحصن، فرأى بابه مفتوحاً ورآه جالساً مسترسلاً، فقصده وسلم عليه ونزل عنده وقال له: ما أجلسك ها هنا وحملك على أن فتحت بابك ولم تتحصن من هذا الجيش المقبل، ولم تتنح عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسه عليك، ومع ما بلغه عنك؟ فقال له: إن ما قلت لم يذهب علي، ولكن تأملت أمري، وعلمت أني قد أخطأت خطيئة حملني عليها نزق الشباب وغرة الحداثة، وأني إن هربت منه لم أفته، فباعدت البنات والحرم، واستسلمت بنفسي وكل ما أملك، فإنا أهل بيت قد أسرع القتل فينا، ولي بمن مضى أسوة، فإني أثق بأن الرجل إذا قتلني وأخذ مالي شفى غيظه ولم يتجاوز ذلك إلى الحرم ولا له فيهن أرب، ولا يوجب جرمي إليه أكثر مما بذلته له؛ قال: فوالله ما اتقاه عبد الله إلا بدموعه تجري على لحيته ثم قال له: أتعرفني؟ قال: لا والله، قال: أنا عبد الله بن طاهر وقد أمن الله روعك، وحقن دمك، وصان حرمك، وحرس نعمتك، وعفا عن ذنبك، وما تعجلت إليك وحدي إلا لتأمن قبل هجوم الجيش، ولئلا يخالط عفوي عنك روعة تلحقك؛ فبكى الحصني وقام فقبل رأسه،

وضمه عبد الله إليه وأدناه، ثم قال له: إما لا فلابد من عتاب يا أخي، جعلني الله فداك، قلت شعراً في قومي أفخر بهم لم أطعن فيه على حسبك، ولا ادعيت فضلاً عليك، وفخرت بقتل رجل هو وإن كان من قومك فهم القوم الذين ثأرك عندهم، وقد كان يسعك السكوت أو إن لم تسكت ألا تغرق وتسرف، فقال: أيها الأمير قد عفوت، فاجعله العفو الذي لا يخلطه تثريب، ولا يكدر صفوه تأنيب، قال: قد فعلت، فقم بنا ندخل إلى منزلك حتى نوجب عليك حقاً بالضيافة، فقام مسروراً فأدخلنا منزله فأتى بالطعام كأنه قد أعده، فأكلنا وجلسنا نشرب في مستشرف له، وأقبل الجيش فأمرني عبد الله أن أتلقاهم فأرحلهم، ولا ينزل منهم أحد إلا في المنزل، وهو على ثلاثة فراسخ، فنزلت فرحلتهم، وأقام عنده إلى العصر، ثم دعا بدواة فكتب له بتسويغه خراجه ثلاث سنين، وقال له: إن نشطت لنا فالحق بنا وإلا فأقم بمكانك، فقال: أنا أتجهز وألحق بالأمير، ففعل ولحق بنا مصر فلم يزل مع عبد الله لا يفارقه حتى رحل إلى العراق، فودعه وأقام ببلده[1].

البحتري وأحمد بن علي الاسكافي

قال أبو الفضل العباس بن أحمد بن ثوابة: قدم البحتري النيل على أحمد بن علي الاسكافي مادحاً له، فلم يثبه ثواباً يرضاه بعد أن طالت مدته عنده، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

مـا كسبنا مـن أحمـد بـن علـي ‌ ‌ ‌ ومـن النيـل غـير حمـى النيـل

وهجاه بقصيدة أخرى: فجمع إلى هجائه إياه هجاء لبني ثوابه، وبلغ ذلك أبي، فبعث إليه بألف درهم وثياباً ودابة بسرجه ولجامه، فرده، وقال: قد أسلفتكم إساءة

---

(١) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٦).

لا يجوز معها قبول صلتكم، فكتب إليه أبي: أما الإساءة فمغفورة، وأما المعذرة فمشكورة، والحسنات يذهبن السيئات، وما يأسو جراحك مثل يدك، فقد رددت إليك ما رددته علي وأضعفته، فإن تلافيت ما فرط منك أثبنا وشكرنا، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا. فقبل ما بعث به وكتب إليه: كلامك والله أحسن من شعري، وقد أسلفتني ما أخجلني، وحملتني ما أثقلني، وسيأتيك ثنائي، ثم غدا عليه بقصائد الثناء. قال: ولم يزل أبي بعد ذلك يصله ويتابع بره لديه حتى افترقا.

إبراهيم بن أدهم

ذكروا من حلمه: أن رجلاً من اليهود سأله، فقال: ألحيتك أفضل أم ذنب الكلب؟ فقال له إبراهيم: إن كانت هذه اللحية ستجوز على الصراط يوم القيامة، فهي خير من ذنب الكلب، وإن كانت في النار، فذنب الكلب خير منها، فبهت الرجل من حلمه، وجوابه[1].

أبو عثمان الواعظ مع امرأته

قال الخطيب: أخبرنا عبد الكريم بن هوازن قال: سمعت أبا عثمان يقول: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حالة فكرهتها، ولانقلني إلى غيرها فسخطتها.

وكان أبو عثمان ينشد:

أسأت ولم أحسن، وجئتك هاربا   وأين لعبد عن مواليه مهرب

يؤمل غفرانا، فإن خاب ظنه   فما أحد منه على الأرض أخيب

وروى الخطيب أنه سئل: أي أعمالك أرجى عندك؟ فقال: إني لما ترعرعت وأنا بالري، وكانوا يريدونني على التزويج فأمتنع، فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان قد أحببتك حبا أذهب نومي وقراري، وأنا أسألك بمقلب القلوب وأتوسل به إليك لما تزوجتني.

---

(١) انظر موسوعة الخطب والدروس للشحود (/ ١٥).

فقلت: ألك والد؟ فقالت: نعم.

فأحضرته، فاستدعى بالشهود فتزوجتها، فلما خلوت بها إذا هي عوراء عرجاء شوهاء -مشوهة الخلق- فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي، وكان أهل بيتي يلومونني على تزويجي بها، فكنت أزيدها برا وإكراما، وربما احتبستني عندها ومنعتني من الحضور إلى بعض المجالس، وكأني كنت في بعض أوقاتي على الجمر وأنا لا أبدي لها من ذلك شيئا.

فمكثت كذلك خمس عشرة سنة، فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي[1].

من حلم ابن عون

كان ابن عون إذا وجد على إنسان، وبلغ منه قال له: بارك الله فيك، وكانت له ناقة كريمة عليه، فضربها الغلام فأندر عينها فقالوا: إن غضب ابن عون فهو يغضب اليوم، فقال للغلام: غفر الله لك[2].

من حلم معن بن زائدة الشيباني البكري مع الأعرابي

تذاكر جماعة فيما بينهم آثار معن وأخبار كرمه، معجبين بما هو عليه من التؤدة ووفرة الحلم، ولين الجانب، وغالوا في ذلك كثيراً، فقام أعرابي، وأخذ على نفسه أن يغضبه، فأنكروا عليه، ووعدوه مائة بعير، إن هو فعل ذلك. فعمد الأعرابي إلى بعير فسلخه، وارتدى إهابه، واحتذى ببعضه جاعلاً باطنه ظاهرا، ودخل عليه بصورته تلك، وكان يومئذ أميرا على العراق، وهو ينوي أن يختبر حلمه، فأنشده يذكره بأيام فقره وقلة ماله قبل أن يصير أميرا:

---

(١) انظر البداية والنهاية (١١ / ١٣٠).
(٢) انظر التذكرة الحمدونية (١ / ١٧٩).

أتـــذكر إذ لحافــك جلــد شـــاة وإذ نعـــلاك مـــن جلـــد البعـــير

فلم يغضب الأمير من الأعرابي كما توقع جلساؤه، وأجاب الشاعر بقوله: بلى، أذكر ذلك ولا أنساه.

فتابع الأعرابي قوله:

فســبحان الــذي أعطــاك ملكــا وعلمــك الجلــوس عــلى الســـرير

فقال معن: يا أخا العرب، إن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء، فقال الأعرابي:

فلســت مســلماً مــا عشــت دهــرا عـــلى معـــن بتســـليم الأمـــير

فقال معن: السلام خير، وليس في تركه ضير. فقال الأعرابي:

ســأرحل عــن بــلاد أنــت فيهــا ولــو جــار الزمــان عــلى الفقــير

فقال معن: يا أخا العرب: إن جاورتنا فمرحبا بك، وإن رحلت فمصحوب بالسلامة، فقال الأعرابي:

فجـد لي يــا ابــن ناقصــة بشــيء فــإني قــد عزمــت عــلى المســير

فقال معن: اعطوه ألف دينار يستعين بها على سفره، فأخذها الأعرابي وقال:

قليـــل مـــا أتيـــت بـــه وإني لأطمــع منــك بالمــال الكثــير

فـــثنِّ فقـــد حبـــاك الله ملكـــا بـــلا عقـــل ولا رأي منـــير

فقال معن: أعطوه ألفا أخرى، فأخذها الأعرابي، وقال:

ســـألت الله أن يبقيـــك ذخـــرا فــما لــك في البريــة مــن نظــير

فقال معن: أعطوه ألفا آخر.

فقال الأعرابي: أيها الأمير: ما جئتك إلا مختبرا حلمك لما بلغني عنه، فقد جمع الله

فيك من الحلم ما لو قسم على أهل الأرض لكفاهم[(١)] .

من حلم جعفر بن سليمان

قال الأصمعي: سمعت جعفر بن سليمان يقول: ما ساد منا إلا سخي على الطعام. قال: كنت أتغدى مع جعفر على مائدته فجاء الطباخ بصحفة؛ ليضعها واستعجل الطباخ، فزلقت الصحفة من يده في حجر جعفر بن سليمان وعليه جبة خز نفيسة، قال: فكأن بعض من كان على المائدة أغرى بالطباخ فقال جعفر: ما أراد البائس إلا خيرا إنما أراد أن يتقرب إلى قلوبنا، خذ يا غلام الجبة، وادفعها إليه[(٢)] .

شيخ من دمشق

قال: طلقت امرأة لي كان وجهها ذرباً وجسدها رحباً، فدخل علي سارق بالليل، وثيابي عند رأسي، فذهب إلى المشجب فلم يجد شيئاً، فلما رأى ذلك بسط كساءه، ثم دخل إلى خابية الدقيق، فجذبت الكساء فجعلته تحت رأسي، ثم خرج بالدقيق، فصبه في الأرض، وطلب طرفي الكساء، ثم جعل يجمعه، فلم يجد الكساء، فخرج. فقلت له: أغلق الباب، لا يخرج القط. قال: من حسن صنيعك بي. قلت: ليس هذا وقت عتاب. قال: فبعت الكساء بخمسة دراهم[(٣)] .

من نوادر الحجاج

أتى الحجاج برجل ليقتله، وبيده لقمة فقال: والله لا أكلتها حتى أقتلك. قال: أو خير من ذلك تطعمينها، ولا تقتلني، فتكون قد بررت في يمينك، ومننت علي، فقال: ادن مني فأطعمه إياها وخلاه.

---

(١) انظر درة الغواص في أوهام الخواص (١ / ٢٦٨-٢٦٩).
(٢)انظر مختصر تاريخ دمشق (٢ / ٢٧٦).
(٣) انظر مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٤٧٦).

وأتى الحجاج برجل من الخوارج، فأمر بضرب عنقه، فاستنظره يوماً، قال: ما تريد بذلك؟ قال: أؤمل عفو الأمير، مع ما تجري به المقادير؛ فاستحسن قوله وخلاه[١].

وجلس الحجاج يقتل أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث، فقام إليه رجل منهم، فقال: أيها الأمير إن لي عليك حقاً. قال: وماحقك عليّ؟ قال: سبّك عبد الرحمن يوماً فرددت عنك. قال: ومن يعلم ذاك؟ فقال الرجل: أنشد اللهّ رجلاً سمع ذاك إلا شهد به. فقام رجل من الأسرى فقال: قد كان ذاك أيها الأمير. فقال: خلّوا عنه. ثم قال للشاهد: فما منعك أن تنكر كما أنكر؟ قال: لقديم بغضي إياك. قال: وخلّى هذا لصدقه[٢].

قال الأصمعي: خرج الحجاج متصيداً، فوقف على أعرابي يرعى إبلاً وقد انقطع عن أصحابه، فقال: يا أعرابي، كيف سيرة أميركم الحجاج؟ فقال الأعرابي: غشوم ظلوم لا حياه الله ولا بياه. قال الحجاج: فلو شكوتموه إلى أمير المؤمنين؟ فقال الأعرابي: هو أظلم منه وأغشم، عليه لعنة الله! قال: فبينا هو كذلك إذ أحاطت به جنوده، فأومأ إلى الأعرابي فأخذ وحمل، فلما صار معهم قال: من هذا؟ قالوا: الأمير الحجاج، فعلم أنه قد أحيط به، فحرك دابته حتى صار بالقرب منه، فناداه: أيها الأمير: قال: ما تشاء يا أعرابي؟ قال: أحب أن يكون السر الذي بيني وبينك مكتوماً؛ فضحك الحجاج وخلى سبيله[٣].

وخرج مرة أخرى فلقي رجلاً. فقال: كيف سيرة الحجاج فيكم ؟ فشتمه أقبح من شتم الأول حتى أغضبه، فقال: أتدري من أنا ؟ قال: ومن عسيت أن تكون؟ قال: أنا الحجاج، قال: أوتدري من أنا؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا مولى بني عامر، أجن في

---

(١) انظر الأذكياء (١ / ٦٦).
(٢) انظر عيون الأخبار (١ / ٤١).
(٣)جمع الجواهر في الملح والنوادر للحُصري (ص:٧).

الشهر مرتين هذه إحداهما. فضحك وتركه[٢].

الحجاج والشعبي

وعن الأصمعيّ، عن عثمان الشحام، قال: أتي الحجاج بالشّعبي، فقال له: أخرجت علينا يا شعبي؟ قال: أجدب بنا الجناب، وأحزن بنا المنزل، واستحلنا الخوف، واكتحلنا السهر، وأصابتنا خزية، لم نكن فيهم بررةً أتقياء، ولا فجرة أقوياء. فقال الحجاج: للهّ أبوك. ثم أرسله[١].

قال: المدائني: لما ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث، فغدا يضرب أعناقهم عامة النهار، فأتي برجل في آخرهم من بني تميم، فقال: يا حجاج لئن كنا أسأنا في الذنب، ما أحسنت أنت في العقوبة.

فقال الحجاج: أف لهذه الجيف، ما كان فيهم رجل يحسن مثل هذا وعفا عنه[٢].

[قلت]: لست أرى الحجاج من الحلماء، ولكن حكمة الرجل فتَّت من الصخر حصاة، وقد يجود البخيل، ويحلم الجهول، ويرحم الغشوم.

من حلم أسماء بن خارجة

قال أسماء بن خارجة: ما شتمت أحدا قط؛ لأن الذي يشتمني أحد رجلين: كريم كانت منه زلة وهفوة فأنا أحق مَن غفرها له، وأخذ الفضل فيها، أو لئيم فلم أكن لأجعل له عرضي.

وكان يتمثل:

وأغفر عوراء الكريم ادِّخاره   **وأعرض عن شتم اللئيم تكرما**[٣]

---

(١) انظر عيون الأخبار (١ / ٤٢).
(٢) انظر عيون الأخبار (١ / ٤١).
(٣) انظر الحلم (١ / ٧٤).

من حلم سعيد بن العاص

قال سعيد بن العاص: ما شتمت رجلا منذ كنت رجلا، ولا زاحمت ركبتي ركبته، وإذا أنا لم أصل زائري حتى يرشح جبينه كما يرشح السِّقاء فو الله ما وصلته[١].

حلم الشيخ ابن باز

ولهذا الإمام موقف جليل في الحلم، يدل على سمو في أخلاقه، وإحسان في معاملته، بل يدل على تصديق عمله لعلمه، وإخلاصه لربه، هذا الموقف يحكيه عنه أحد طلابه، وهو: أن الشيخ ابن باز كان ذات ليلة يصلي الليل في بيته، فسمع وجبة في البيت، وكأن شيئاً سقط، أو شخصاً قفز، فلما أتم بعض صلاته، أخبر أحد أولاده؛ للتأكد مما سمع، فبحث الأولاد في البيت، فوجدوا رجلاً باكستاني الجنسية، وكان قد تسلق سور البيت، وكان السور قصيراً، فأحضروا الرجل إلى الشيخ، فأجلسه الشيخ، وقال لأبنائه: أيقظوا الطباخ؛ لعل الرجل جائع، فأيقظوا الطباخ، وصنع له عشاءا، حتى استقرت نفسه، وهدأ روعه، وهو يتوقع من الشيخ وأبنائه، ما يتوقعه اللصوص من الضرب والإهانة، ولكن كان الأمر بالضد، فقد قوبل بالإحسان، والإكرام، وكأنه ضيف وافد، فلما أتم عشاءه، سأله الشيخ عن سبب تسلُّلِه إلى البيت في تلك الساعة، فأجاب الشيخ قائلاً: بلغني أن أبي في مرض شديد، وقد قررت له عملية في أحد مستشفيات باكستان، وتكلفتها حدود عشرة آلاف سعودي، قال فكان عندي خمسة آلاف، والوقت لا يسمح لجمع الباقي مع خطورة المرض، فلجأت إلى السرقة؛ لعلي أن أظفر بما يتم المبلغ المفروض على والدي، فأتى الشيخ برجل يجيد اللغة الباكستانية؛ ليتأكد من صحة الخبر، فأصبح، وأرسل إلى سفارة الرجل، وسألوا عن

---

(١) انظر الحلم (١ / ٧٤).

والده، والمستشفى الذي هو فيه، وجاءت الأخبار بتصديق قول الباكستاني، فتكفل الشيخ رحمه الله تعالى بعلاجه كاملا، وأعطى الرجل عشرة آلاف من ماله الخاص إلى جانب تكلفة العلاج، وأذن له بالذهاب إلى بلده؛ لتفقد حال إبيه، فذهب الرجل، وعاد إلى الشيخ طالباً للعلم، وكانت هذه المعاملة سبباً لهدايته وطلبه للعلم، حتى صار من أبرز طلبة العلم، ولزم الشيخ حتى مات، ولما بلغه موت الشيخ رحمه الله تعالى، أغمي عليه عدة مرات، وكان ملازما لمسجد الشيخ، وكلما رأى مرافقي الشيخ أغمي عليه، فلقد صار هذا الموقف شعلة في حياة هذا الإمام، حقق فيه قول النبي ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**» برجاحة عقل، وتأني وتثبت، ولو ضربه أو طرده لما حصل على هذا الخير العظيم؛ فرحمه الله رحمة الأبرار.

حلم الشيخ ابن عثيمين

ويطالعنا بأروع الصفات النبيلة في مسجده بحلمه وصبره على السفهاء والجاهلين، فيقابل الإساءة بالإحسان، ويذكرني أروع الشواهد على ذلك ما رأيته بنفسي بعد صلاة العصر عندما فرغ من صلاة –وكان ذلك في مسجده الطين عام ١٤٠٣ هجرية – فقام إليه أحد المصلين –أظنه أعرابياً من البادية– فطلب من الشيخ أن يساعده بشيء من المال وشكا أليه حاله وعوزه؛ فأخرج له الشيخ مبلغاً يسيراً من المال، فغضب الأعرابي ورفع صوته على الشيخ أمام المصلين، ورمى بالمال في وجه الشيخ، فما كان من الشيخ إلا أن ابتسم في وجهه ودعا له: أصلحك الله، والأعرابي يزيد في حماقته أمام الشيخ، والشيخ يزيد في حلمه كأنّ الشيخ يستحظر قول الشاعر:

يخـــاطبني الســـفيه بكـــل قـــبح ... وأكـــره أن أكـــون لـــه مجيبـــا
يزيـــد ســـفاهة وأزيـــد حلـــما ... كعـــودٍ زاده الإحـــراق طيبـــا

الموقف الثامن:

وقع للشيخ أثناء عودته من المسجد الحرام في مكة إلى مقر إقامته بجوار الحرم، وإذا بمجموعة من الشباب يلعبون الكرة منشغلين بها عن الصلاة، فوقف الشيخ ينصحهم ويذكرهم بالله وهم لم يعرفوه، ثم نهاهم الشيخ عن لعب الكرة حتى يصلوا، فقام أحدهم يرفع صوته أمام الشيخ ويسب الشيخ، فأخذ الشيخ يلاطفه ويساسه، وقال له: لا بد أن تذهب معي إلى السكن لنتحدث، وكان بصحبه الشيخ بعض طلاب العلم فنصحوا الشاب أن يسمع كلام الشيخ ويذهب معه، فذهب معه وأدخله الشيخ في مقر سكنه واستضافة في مجلسه، وغاب الشيخ عن المجلس بضع دقائق، فقال له الحاضرون: هل تعرف من هذا الشيخ؟ فقال الشاب: لا، فقالوا له: هذاالشيخ ابن عثيمين..فتغير وجه الشاب، فما إن دخل الشيخ حتى قام إليه الشاب منكباً عليه يقبل رأسه وهو يبكي، وكان هذا الموقف سبباً في هداية الشاب واستقامته.

الموقف التاسع:

صلى الشيخ في الحرم المكي، وعند خروجه استقل سيارة تكسي، يريد التوجه إلى منى، وأثناء الطريق أراد السائق أن يتعرف على الراكب، فقال له:من الشيخ؟ فأجابه الشيخ: محمد بن عثيمين، فأجابه السائق: أنت الشيخ ابن عثيمين؟ ظناً منه أنه يمزح معه، فقال: نعم، فقال السائق وهو يهز رأسه متعجباً من جرأته في تقمص شخصية الشيخ ابن عثيمين، فقال الشيخ للسائق: ومن الأخ؟ فأجاب السائق: أنا الشيخ عبدالعزيز بن باز، وكان ذلك في حياة الشيخ ابن باز مفتي عام المملكة، فأجابه الشيخ: لكن الشيخ ابن باز ضرير ولا يمكن أن يسوق سيارة، ولما تبين للسائق أنه الشيخ ابن عثيمين، اعتذر منه وكان في غاية الحرج...وهذا يدلنا على تواضع الشيخ

ومداعبته لعامة الناس....

الإمام الشوكاني

كان الإمام الشوكاني ﷬ تعالى، يدرس في الجامع الكبير في صنعاء، في أبواب الشفاعة، فسمعه بعض المعتزلة، فقال: يا شوكاني كلامك باطل ليس هناك شفاعة؛ للخروج من النار، وأكثر المعتزلي الصَّخب في المسجد؛ فقال الشوكاني: يا بني إذا جاءك الملك فقل له: أنا لا أرى الخروج من النار، ولا تمد يدك، وأما نحن فإذا جاءتنا الملائكة مددنا أيدينا، وخرجنا.

الشوكاني ورافضي

كان الشوكانيُّ يدرس في أحد مساجد صنعاء، وكان هناك رافضي يؤذي الشوكانيَّ في دروسه، بمقاطعة الحديث، والشغب في المسجد، فغاب الرَّجل، ففقده الشوكاني، فسأل عنه فقالوا: مريض، فقال الشوكاني: قوموا بنا نعوده، فدخل عليه مع طلابه، وكان الرجل فقيرا، ثم استأذنوا بالانصراف، وتأخر الشوكاني قليلاً، وأعطاه شيئاً من المال يستعين به على مرضه، وفقره، فتعجب الرجل من زيارة الإمام، وبكى ودمعت عيناه، فقال الرجل -وكان يعتقد تكفير النواصب، ويرى الشوكاني ناصبيا-: لو كنت يهودياً يا شوكاني لأدخلك الله الجنة.

يعني ناهيك عن كونك ناصبياً فمن باب أولى[1].

الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

نبذة من حياة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، كان ﷬ آية في الحلم، بعيني رأيت أكبر أعدائه الذي كان سببًا لكل ما أصابه من الأذى التجأ إليه في شدة أصابته فقابله

(١) انظر قصص وحكايات، للعمراني تلميذ الشوكاني بالإجازة (١١٧).

الشيخ الفقيد بما جبل عليه من البشاشة، وأخرج أوراقًا مالية، فناوله إياها، ثم أمر أحد التجار أن يعطيه عدة أكياس من الرز على حسابه، هذا بعد ما فشل ذلك الشيخ المشاغب في جميع محاولاته. وواقعات حلمه مشهورة، وكان سراجًا منيرًا في الخليج الفارسي وبلاد العراق ونجد. انتهى[١]

الإمام الألباني

جاء إليه رجل، فقال: يا شيخ إني كنت قد أسأت في حقك، فأطلب المسامحة، فقال ؒ تعالى: غفر الله لك في الماضي، والآن، وفي المستقبل.

الإمام مقبل بن هادي الوادعيّ

قال العلامة مقبل بن هادي ؒ تعالى، في آخر حياته، في خطبة عيد الفطر: لم أقم في رمضان لمرضي، وأشهدكم أني تصدقت بعرضي[٢] على من ظلمني.

موقف عجيب في الحلم

كان أحد طلبة العلم يقود سيارة، فجاء من الطريق الفرعي، الذي يؤدي إلى الطريق العام -الإسفلت- فأراد أن يقطع الطريق العام، فتفاجأ بسيارة قادمة بسرعة، فتوقف عن السير، فغضب الرجل جدا، ووقف بسيارته مقابل سيارة طالب العلم، فصرخ في وجهه وتفل جهته، فجمع طالب العلم أصابعه، وقبلها، ثم رمى جهته بتلك القُبلة، فاستحى الذي سبه، ومشى بسيارته، فتعطلت سيارته، وتوقفت عن السير، وطالب العلم خلفه بسيارته، فلما رآه نزل، وأصلح معه سيارته، فاشتد حياء الرجل من صاحبه، وجعل يعتذر إليه أشد الاعتذار، وكان هذا الموقف سبباً لهدايته إلى السنة.

---

(١) انظر مجلة المنار (٣٣/ ١٣٠).

(٢) أي من تكلم فيَّ عفوت عنه.

إشكال وجوابه

قال الجاحظ: قد ذكروا في الأشعار حلم لقمان، ولقيم بن لقمان، وذكروا قيس بن عاصم، ومعاوية بن أبى سفيان، ورجالا كثير ما رأينا هذا الاسم التزق بأحد، والتحم بإنسان وظهر على الألسنة كما رأيناه تهيأ للأحنف بن قيس، ثم كان مع ذلك رئيسا في أكثر تلك الفتن، فلم ير حاله عند الخاصة والعامة، وعند النساك والفتاك، وعند الخلفاء الراشدين، والملوك المتغلبين، ولا حاله في حياته ولا حاله بعد موته إلا مستويا، فينبغي أن يكون قد سبقت له من النبي ﷺ دعوة، وقال فيه كما رووه وذكروه، أو يكون قد كان يضمر من حسن النية، ومن شدة الإخلاص ما لم يكن عليه أحد من نظرائه، فإن قال قائل: تزعمون أن عبد المطلب كان أحلم الناس، وكذلك العباس بن عبد المطلب. قلنا: إن الأحنف كان الحلم سيد عمله فبان حلمه من سائر أعماله، ومحاسن عبد المطلب، وخصال العباس في المجد والشرف كانت متكافئة متساوية كل خصلة منها تنتصف من أختها.

ممن كان يضرب به المثل في الحلم

إياس بن معاوية بن قرة المزني أبو واثلة قاضي البصرة، ثقة، وكان فقيهًا عفيفًا، وكان عاقلا فطنًا من الرجال، يضرب به المثل في الحلم والدهاء[(١)].

أبو حكيم النهراوني

إبراهيم بن دينار الحنبلي الزاهد الفرضي أحد من كان يضرب به المثل في الحلم والتواضع.أنشأ مدرسة بباب الأزج. وقد اجتهد جماعة على إغضابه فلم يقدروا[(٢)].

---

(١) مترجم في التهذيب، والكبير (١/ ١/ ٤٤٢)، وابن أبي حاتم (١/ ١/ ٢٨٢)، وابن سعد (٧/ ٢/ ٤، ٥).
(٢) العبر في خبر من غبر (٣/ ٢٥).

صلاح الدين الأيوبي

قال ابن الأثير في تاريخه[(١)] متحدثاً عن صلاح الدين الأيوبي: وكان حليماً، حسن الأخلاق، متواضعاً، صبوراً على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم ما يكره، ولا يُعْلمه بذلك، ولا يتغير عليه.

القمودي

الإمام زاهد المغرب، أبو جعفر القمودي السوسي. كان سيدا عابدا منقطع القرين، عبد ربه حتى صار كالشن البالي، وكان يضرب به المثل، وكان من أحلم الناس، يدعو لمن يؤذيه[(٢)].

حلم عمرو بن عبيد

وقال خالد بن صفوان: شهدت عمرو بن عبيد ورجل يشتمه فقال له: آجرك الله على ما ذكرت من خطأ. قال: فما حسدت أحدا حسدي عمرو بن عبيد على هاتين الكلمتين[(٣)].

كتاب كسرى ابرويز يوصي ابنه شيرويه

وكتب كسرى أبرويز إلى ابنه شيرويه من الحبس: إنّ كلمة منك تسفك دماً، وإنّ كلمة أخرى منك تحقن دماً، وإنّ سخطك سيوفك مسلولةً على من سخطت عليه، وإنّ رضاك بركة مستفيضة على من رضيت عنه، وإنّ نفاذ أمرك مع ظهور كلامك، فاحترس في غضبك من قولك أن يخطئ، ومن لونك أن يتغير ومن جسدك أن يخف، وإن الملوك تعاقب قدرةً وحزما، وتعفو تفضلا وحلما، ولا ينبغي للقادر أن يستخف ولا للحليم أن يزهو، وإذا رضيت فأبلغ بمن رضيت عنه يحرص من سواه على

---

(١) تاريخه (٩/ ٢٢٥).
(٢) انظر سير أعلام النبلاء (١٥ / ٧٨).
(٣) انظر الآداب الشرعية (٢ / ٣١٤).

رضاك، وإذا سخطت فضع من سخطت عليه يهرب من سواه من سخطك، وإذا عاقبت فانهك لئلا يتعرض لعقوبتك، واعلم أنك تجل عن الغضب وأن غضبك يصغر عن ملكك، فقدر لسخطك من العقاب كما تقدر لرضاك من الثواب[١].



(١) انظر عيون الأخبار (١ / ١٢٢).

أبيات في الحلم

قال الناظم:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

وإن كان النعماء فيهم جزوا بها ... وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا

وإن قال مولاهم على جل حادث ... من الأمر ردوا فضل أحلامكم

وقال الثقفي:

وليس يتم الحلم للمرء راضيا ... إذا هو عند السخط لم يتحلم

كما لا يتم الجود للمرء مثريا ... إذا هو لاقى العسر لم يتجشم

وقال رجل من بني أمية:

إني ليمنعني من ظلم ذي رحم ... أب أصيل وحلم غير ذي وصم

إن لان لنت وإن دبت عقاربه ... ملأت كفيه من صفح ومن كرم

وقال يزيد بن الحكم الثقفي:

سريت الصبى والجهل بالحلم والتقى ... وراجعت عقلي والحليم المراجع

أبى الشيب والإسلام أن أتبع الهوى ... وفي الشيب والإسلام للمرء وازع

وإني امرؤ لا أزعم البخل قوة ... ولكنني للمال بالحمد بائع

واعلم أن الجود مجد لأهله ... وأن الذي لا يتقي الذم واضع

وقال يزيد بن الحكم أيضا:

وإني لأرعى المرء لو يستطيعني ... أصاب دمي يوما بغير قتيل

وأعرض عما ساءه وكأنما ... يقاد إلى ما ساءني بدليل

مجاملة مني وإحسان صحبة ... بلا حسن منه ولا بجميل

أصالة حلم من حلوم أصيلة ... ولا حلم إلا حلم كل أصيل

ولو شئت لولا الحلم جدعت أنفه ... بإيعاب جدع بادئ وعليل



حفاظا على أحلام قوم رزيتهم ... رزان يزينون الندى وكهول

قال أبو جعفر القرشي:

لاتأمنن إذا ما كنت طياشا ... أن تستفز ببعض الطيب فحاشا

يا حبذا الحلم ما أحلى مغبته ... جدا وأنفعه للمرء ما عاشا

قال كعب بن سعد الغنوي:

حليم إذا ما الحلم زين أهله ... مع الحلم في عين العدو مهيب

إذا ما تراآه الرجال تحفظوا ... فلم ينطق العوراء وهو قريب[(١)]

قال عبد الملك بن مروان لمحمد ابن عطارد التميمي: يا محمد احفظ عني هذه الأبيات، واعمل بهن:

إذا أنت جاريت السفيه كما جرى ... فأنت سفيه مثله غير ذي حلم

إذا أمن الجهال جهلك مرة ... فعرضك للجهال غنم من الغنم

فلا تعرضن عرض السفيه وداره ... بحلم فإن أعيا عليك فبالصرم

وعم عليك الجهل والحلم والقه ... بمرتبة بين العداوة والسلم

فيرجوك تارات ويخشاك تارة ... وتأخذ فيها بين ذلك بالحزم

فإن لم تجد بدا من الجهل فاستعن ... عليه بجهال وذاك من العزم[(٢)]

عن ضمرة ابن حبيب قال:

الحلم زين والتقي كريم ... والصبر خير مراكب الصعب[(٣)]

وعن ابن عائشة التيمي:

وعوراء جاءت من أخ فرددتها ... بسالمة العينين طالبة عذرا

---

(١) انظر الحلم (١ / ٥٩).
(٢) انظر الحلم (١ / ٦٤).
(٣) انظر الحلم (١ / ٦٠).

ولـــو أنـــه إذ قالهـــا قلـــت مثلهـــا ... ولم أعـف عنهـا أورثـت بيننـا عمـرا

وأنشد أبو عبد الله الأتيسي:

تحــرز مــا اســتطعت مــن الســفيه ... بحلمـــك عنـــه إن الفضـــل فيـــه
فقــد يعصـــي الســـفيه مؤدبيـــه ... ويـــبرم باللجاجـــة منصـــفيه
تلـــين لـــه فـــيغلظ جانبـــاه ... كعـير الســوء يــرمح عالفيــه
إذا ابتعـــت الســـفيه فهـــي حلـــما ... وضـــمنا واســـتعد لســـد فيـــه[١]

وقال زهير بن أبي سلمى:

وذي نعمـــة تمتهـــا وشـــكرتها ... وخصـم يكـاد يغلـب الحـق باطلـه
دفعـت بمعـروف عـن القـول صـائب ... إذا مــا أضــل القــائلين مفاصــله
وذي خطــل في القــول تحسـب أنــه ... مصـيب فـما يلمـم بـه فهـو قائلـه
عبــأت لــه حلمــي وأكرمــت غــيره ... وأعرضــت عنــه وهــو بــاد مقاتلــه

قال الشاعر:

إذا مــا امــرؤ مــن ذنبــه جــاء تائبــاً ... إليـك فلـم تغفـر لـه فلـك الـذنب[٢]

لأبي محمد القاسم الحريري يقول:

احمــد بحلمــك مــا أذكــاه ذو ســفه ... مــن غيظــك اصــفح إن جنــى جــاني
فــالحلم أفضــل مــا ازدان اللبيــب بــه ... والأخذ بالعفو أحـلى مـن جنـى الجـانى[٣]

وقال بعض الشعراء:

إني لأعــرض عــن أشــياء أســمعها ... حتـــى يقـــول رجـــال إن بي حمقـــا
أخشــى جــواب ســفيهٍ لا حيــاء لــه ... فســـلٍ، وظـــن أنـــاسٌ أنـــه صـــدقا

---

(١) انظر الحلم (١/ ٦٥).
(٢) انظر الجوهر النفيس في سياسة الرئيس (١/ ١٤٠).
(٣) انظر الجوهر النفيس في سياسة الرئيس (١/ ١٤٢).



حكم في الحلم

* قال علي رضي الله عنه: الحلم فدام السفيه.

* عن الضحاك بن رميل قال: أتيت بخاتم بجير بن ريسان الحميري، فإذا عليه مكتوب بالمسند: من حلم شرف[١].

* وعن وهب بن منبه قال: مكتوب في الحكمة: قصر الغايات ثلاث: قصر السفه الغضب، وقصر الحلم الراحة، وقصر الصبر الظفر.

* قيل للأحنف بن قيس: ما الحلم؟ قال: أن تصبر على ما تكره قليلاً[٢].

* ويقال: الغضب غول الحلم.

* ويقال: القدرة تذهب الحفيظة.

* كان يقال: آفة الحلم الضعف.

* كان يقال: الحليم مطية الجهول.

* قال أبو جعفر القرشي: كان يقال: سلاح اللئام قبيح الكلام.

* وذكر أعرابي رجلاً فقال: كان أحلم من فرخ طائر.

* وفي الإنجيل: كونوا حلماء كالحيات وبلهاء كالحمام.

* وعن معاوية بن قرة قال: مكتوب في الحكمة لا تجالس بحلمك السفهاء ولا تجالس بسفهك الحلماء[٣].

* وقال: العتابُ مفتاحُ التّقالِي، والعتابُ خيرٌ من الحقد[٤].

---

(١) انظر الحلم (١ / ٥٩).
(٢) انظر الحلم (١ / ٥٥).
(٣) انظر الحلم (١ / ٥١).
(٤) انظر نثر الدر (١ / ٣٥٨).

* وقال الخليل بن أحمد: كان يقال من أساء، فأحسن إليه، فقد جعل له حاجزا من قلبه يردعه عن مثل إساءته[١].

* وقال وهب بن منبه: من يرحم يرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يجهل يغلب، ومن يعجل يخطيء، ومن يحرص على الشر لا يسلم، ومن لا يدع المراء يشتم، ومن لا يكره الشر يأثم، ومن يكره الشر يعصم، ومن يتبع وصية الله يحفظ، ومن يحذر الله يأمن، ومن يتول الله يمنع، ومن لا يسأل الله يفتقر، ومن يأمن مكر الله، يخذل ومن يستعن بالله يظفر[٢].

* قال بعضهم: إن عاقبت جازيت وإن عفوت أحسنت والعفو أقرب للتقوى.

* ونحوه: قال رجل لبعض الأمراء: أسألك بالذي أنت بين يديه أذلّ مني بين يديك، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلاّ نظرت في أمري نظر من برئي أحبّ إليه من سقمي وبراءتي أحبّ إليه من جرمي.

* ونحوه قول آخر: قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة[٣].



(١) انظر إحياء علوم الدين (٣/ ١٧٩).
(٢) انظر إحياء علوم الدين (٣/ ١٧٩).
(٣) انظر عيون الأخبار (١ / ٤٢).

أحاديث ضعيفة في الحلم

❁ **حديث**: (ابتغوا الرفعة عند الله تحلم عمن جهل عليك و تعطي من حرمك).

رواه ابن عدي عن ابن عمر. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم:(٣٢)

❁ **حديث**: (كان من دعائه: اللهم اغنني بالعلم، وزيني بالحلم، وكرمني بالتقوى، وجملني بالعافية).

ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٧/ ٢٧٨)

❁ **حديث**:(خمس من سنن المرسلين: الحياء والحلم والحجامة والتعطر والنكاح)

رواه الطبراني عن ابن عباس. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم:(٢٨٥٧).

❁ **حديث**: (لا حليم إلا ذو عثرة و لا حكيم إلا ذو تجربة)

رواه أحمد والترمذي عن أبي سعيد. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم:(٦٢٨٣).

❁ **حديث**: (إن الرجل ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم و إنه ليكتب جبارا و ما يملك إلا أهل بيته)

رواه ابن نعيم عن علي. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم:(١٤٥٣).

❁ **حديث**: (إن الله يحب الحليم الحيي العفيف المتعفف، و يبغض الفاحش البذيء السائل الملحف).

ضعيف كما في السلسلة الصحيحة (٣/ ٣٩٤).

❁ **حديث**: (ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله: تقوى تحجزه عن معاصي الله، وحلم يكف به السفيه، وخلق يعيش به في الناس) ضعيف

من طريق حماد بن عبد الرحمن الكلبي ضعيف انظر الحلم (١ / ٤٨).

* **حديث**: (كان أيوب أحلم الناس، وأصبر الناس، وأكظمهم لغيظ)

رواه الحكيم وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم:(٤١٥٢).

* **حديث**: (إن بني هاشم فضلوا على الناس بست خصال: هم أعلم الناس، وأشجع الناس، وهم أسمح الناس، وهم أحلم الناس، وهم أصفح الناس، وأحب الناس إلى نسائهم).

ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣ / ٣٠٨).

* **حديث** (يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله! اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: أين عثمان بن طلحة؟ فدعي له فقال: هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء).

ضعيف ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣ / ٣٠٨).

* **حديث**: (أتعجزون أن تكونوا مثل أبي ضمضم كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على من ظلمني).

رواه أبو داود (٤٨٨٧)، وضعفه الألباني في الأرواء (٢٣٦٦).





الخاتمة

وفي الختام، أقول: هل بالإمكان أن نكتسب الحلم، إن كنا لم نجبل عليه، من هذه المواقف العظيمة، والروضة العظيمة، التي أوضحت لنا سبله، وطرقه، هذا وأسأل الله بفضله، ومنه وكرمه أن يرزقني وإخواني القارئين، والسامعين الحلم، والعلم، وأن يصلح أحوالنا، وأن يؤلف بين قلوبنا، وأن يختم لنا بحسن الختام، وأن يعيذنا من سيئات الأخلاق، والأعمال والأهواء، والأدواء، وأن يغفر لي ولوالدي، ولجميع المسلمين، إنه جواد كريم، ومن وجد خطأ أو تنبيها فلا يبخل علينا فيه، ويحلم عن الهفوة، ويغضي عن الزلة، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



المحتويات

